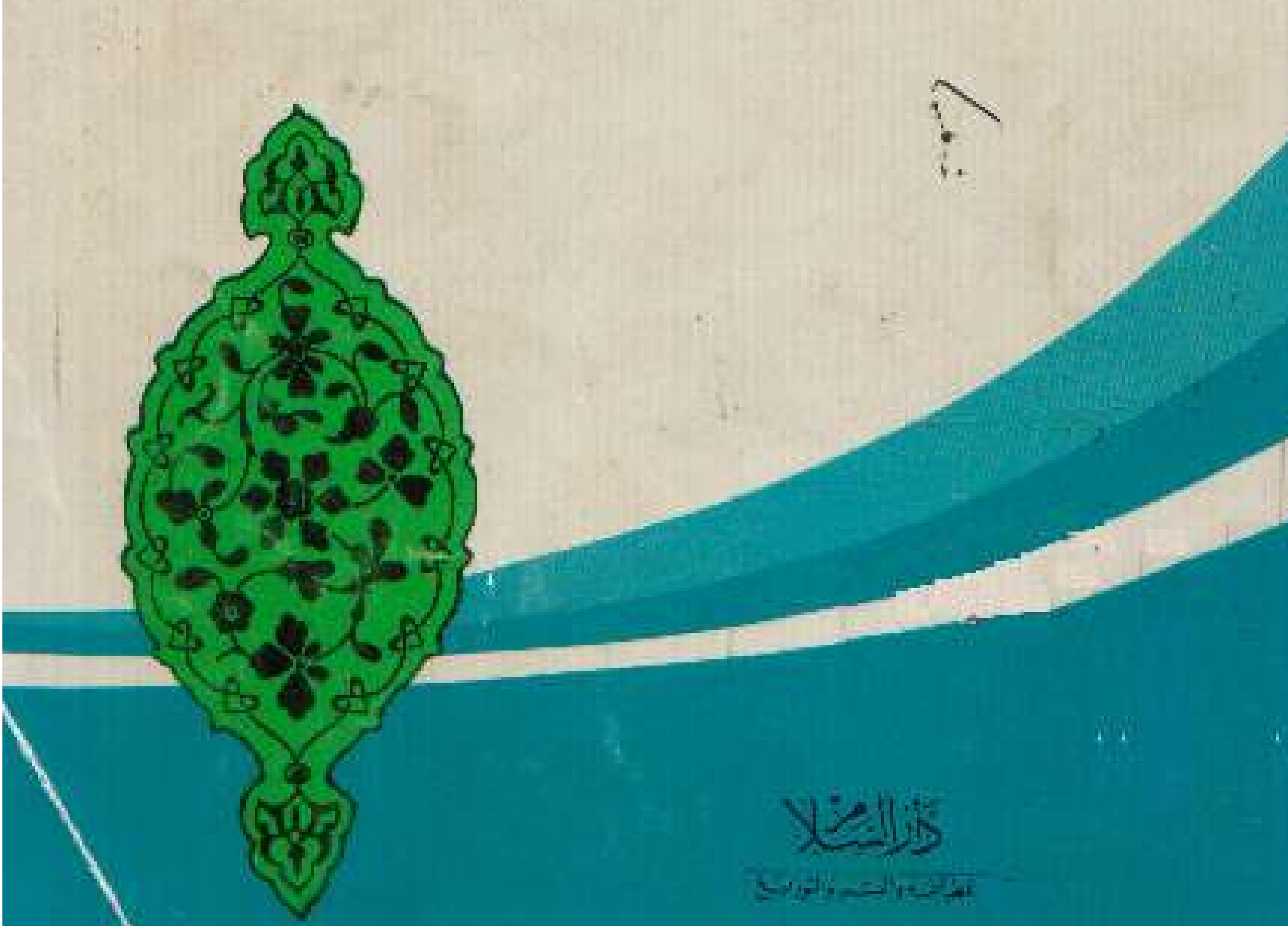
دراسات منهجية هادفة
في البناء

دروس في العمل الإسلامي

سعيد حوى



الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ = ١٩٨١
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

« الْحَمْدُ لِلَّهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وآلِهِ »

« ربَّنا تقبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ »

مقدمة

إن علل المسلمين تكمن فى خمسة أمور :

١ - الجانب الثقافى .

٢ - الجانب التربوى والأخلاقى .

٣ - الجانب التخطيطى .

٤ - الجانب التنظيمى .

٥ - الجانب التنفيذى .

فلقد ضمرت نظريات الثقافة الإسلامية . ولقد قصر المسلمون فى الغالب عن الارتقاء إلى الأخلاق العليا فى الإسلام ، وكادت العقلية التخطيطية لمواجهة الأحداث والمستجدات أن تموت ، وضمرت العقلية التنظيمية القادرة على طرح النظريات المناسبة لتحقيق الأهداف الإسلامية على ضوء التخطيط الراقى ، وفى خضم ذلك فاتت المسلمين القدرة على التنفيذ المكافىء لتحقيق الأهداف فى حركتهم الجزئية أو فى حركتهم الشاملة ، فى حركتهم الآنية ، أو فى حركتهم لصالح المستقبل ، وذلك كله قصور عن الدرجة العليا للقدرة العظمى المتمثلة فى رسل الله عليهم الصلاة والسلام وفى أصحابهم .

انظر إلى يوسف عليه السلام فى علمه وفى أخلاقيته ، ثم انظر إليه كيف خطط ، وكيف نفذ . وكيف نظم . لقد أدرك من الرؤيا التى رآها ملك مصر الوضع المقبل على مصر ، وبسرعة وضع خطة العمل .

« قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » .

وكان فى نفسه على المستوى المطلوب للمرحلة تنظيماً وتنفيذاً .

« قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم » .

وقام بحق المرحلة قياماً كاملا حتى وصلت آثار بركته خارج الأرض المصرية ، فجاءه إخوته طالبين عونه على جدب بلادهم وهم لا يعرفونه .

« وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم .... » .

« وقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ...... » .

هذا ما فعله يوسف لمواجهه هذه المرحلة الصعبة ، وهو عليه السلام واحد من الرسل الذين أمر الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) أن يقتدى بهم « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

• • •

وانظر إلى خالد رضى الله عنه يوم اليرموك ، كيف استوعب الموقف بسرعة ، وكيف خطط ، وكيف نظم الجيش إلى كراديس ، ثم كيف كان التنفيذ الرائع الذى انتهى بذلك الانتصار الخالد .

• • •

انظر إلى عمر رضى الله عنه كيف أدار أمر الدولة الإسلامية مخططاً ومنظماً ومنفذاً ، وكيف أنه كان يستنبط لكل أمر لوازمه ، فلما احتاج المسلمون إلى ديوان جامع نقل التجربة الإدارية الفارسية محدثاً الديوان وهكذا ....

• • •

إن العقلية الإسلامية تواجه كل شيء بما يكافئه من التخطيط والتنظيم والتنفيذ . ومن درس سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد ذلك على كماله وتمامه، انظر كيف تصرف بعد هجرته، آخى بين المهاجرين والأنصار ،

وحدد العلاقة بين مسلمي المدينة وغيرهم ، وأسس المسجد ، وجعل سوق المسلمين مستقلة عن سوق اليهود ، فحل بذلك وغيره المشكلات ووضع أساس العلاقات فى المجتمع الجديد ، ثم انظر كيف سار خطوة فخطوة حتى مكن لدين الله .

انظر إليه كيف سار بأصحابه فى مكة ، من سرية إلى جهرية ، ومن إقامة إلى هجرة ، وانظر إليه عليه الصلاة والسلام كيف أمر الأنصار فى بيعة العقبة الثانية أن يختاروا اثنى عشر نقيباً ، كل ذلك يدلك على أن المفروض أن تكون العقلية الإسلامية عقلية مخططة ومنظمة ومنفذة من الطراز الأول . وكيف لا تكون كذلك . وهذا القرآن موجود وهذه السيرة محفوظة ، والقرآن يوجه ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا القدوة ؟

* * *

قص علينا القرآن الكريم قصة موسى ، فانظر كيف كان التنظيم ظاهرة بارزة فيها « وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً » ، « وقطعناهم اثنى عشرة أسباطاً أمماً » ، « فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم » .

* * *

أما فى عصرنا فلقد كان فى هذا كله ضعف :

كان هناك كما قلنا ضعف فى الثقافة الإسلامية ، وضعف فى التربية ، وضعف فى التخطيط ، وضعف فى التنفيذ .

* * *

لقد كان المفروض على قادة الأمة الإسلامية فى العصور المتأخرة أن يستوعبوا الموقف العالمى الجديد ، وأن يتحركوا على ضوئه ، فيحدثوا لذلك كله مايكافئه من نظريات ثقافية وتربوية ، ومن تخطيط مناسب وتنظيم مكافىء ، ويسيروا فى طريق التنفيذ على بصيرة ، وكان المفروض أن يتم ذلك كله على ضوء الإسلام ، ولكنهم بدلا من ذلك ساروا فى طرق شتى

واتجاهات شتى ، فزادهم ذلك ضعفاً على ضعف ، ولا يكادون حتى اللحظة يخرجون من بلبلتهم ، سواء فى ذلك الحكومات أو الشعوب ، بل إن ما يجرى الآن على الأرض الإسلامية يجعلنا نعيش وكأننا مقدمون على مرحلة استعمار سياسى وعسكرى جديدين بأشكال مختلفة .

إن من أوائل واجبات القيادات الإسلامية أن تحسن تقدير الموقف ، وأن تتخذ على ضوء ذلك قرارها ، وأن تخطط لتنفيذ هذا القرار ، وأن توجد التنظيم الذى يساعد على تنفيذ هذا القرار ، وأن تسير فى خطوات تنفيذية للوصول إلى الهدف .

يطالب بهذا الواجب أى مسؤول فى أى مستوى من مستويات العمل ، رئيس الدولة فى دولته والقيادة الإسلامية العالمية ، والقيادات المحلية ، والقيادات العليا ، والقيادات الدنيا .

وما لم توجد هذه العقلية التى تحسن تقدير الموقف فى الساحة المنبسطة أمامها والتى تحسن اتخاذ القرار وتحسن التخطيط والتنظيم والتنفيذ ، فإن الارتباكات والمتاهات والدوران فى الفراغ ستكون الطابع الغالب على تصرفات المسلمين .

* * *

ثم إنه مع ضرورة قدرة القيادات على ما ذكرنا ، فعليها أن تمتلك القدرة على تفهم المتغيرات فى كل لحظة ، لتعديل الموقف على ضوء ذلك ولتعديل التخطيط وتطوير التنظيم ومتابعة التنفيذ تبعاً لذلك .

إنه كثيراً ما يحدث أن نعجز عن ملاحقة الأوضاع العالمية والمحلية ، وبالتالى فإننا نعمل ونحن بعيدون جداً ، إما عن عصر وإما عن واقع . وكثيراً ما يحدث أننا نعجز عن أخذ الدروس المباشرة من الأحداث الصغيرة أو الكبيرة ، فنعيش وكأننا بلا تجربة . لذلك فإن القدرة على تقييم الموقف فى كل لحظة وإيجاد الخطة المكافئة لذلك محك رئيسى لاختيار قدرات القيادات .

وإن اللواسة المستوعبة لكل طارىء وجديد وتعديل الخطط على ضوء ذلك مظهر قدرة القيادة على الإدارة المعاصرة . والعجز عن هذا وهذا مقتل من مقاتل العمل ، لأننا فى هذه الحالة نعمل ونحن بعيدون جداً عن الهدف . إن علينا أن نكون على أتم استشراف للأوضاع العالمية كلها وعلى أكمل استيعاب للسلبيات والإيجابيات فيما حولنا،فلا تبق سلبية إلا ونحسب حسابها، ولا إيجابية إلا ونحاول أن نستفيد منها . لاحظ مثلا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، إذ أمر أن يثار الهدى فى وجه شيخ الحمس لأنه من قوم يعظمون الهدى مما أثار فى قلبه عواطف لصالح المسلمين ،إن القيادات التى لا تعرف كيف تسخر الإيجابيات لصالح الدعـوة تكون بمثابة الرجل الذى يعطل الاستفادة من رأس ماله وهو أحوج ما يكون إليه .

ولقد كنت كتبت كتابين : أحدهما « جند الله ثقافة وأخلاقاً » . والثانى « جند الله تخطيطاً وتنظيما وتنفيذاً » أردت فيهما أن أضع قدم المسلم على بدايات صحيحة فى قضايا الثقافة والأخلاق والتخطيط والتنظيم والتنفيذ . وظهر الكتاب الأول منهما ، وتأخر الكتاب الثانى لأسباب كثيرة ، منها أن الظروف لا تسمح بنشره ، كما كتب بالشكل الذى يحقق مقاصده كلها . وقد فكرت فى أن أتخير منه أجزاء أنشرها كرسائل،حتى أننى أعلنت عنها فى كتاب « من أجل خطوة إلى الأمام » . ثم وجدت أن الظروف لا تسمح بمثل هذا،وقد شرح الله الصدر بعد ذلك أن أتخير منه دروساً أقدمها للأمة الإسلامية بمناسبة إطلالة القرن الخامس عشر الهجرى ، فلعلها تؤدى دوراً فيه ، وما لا يدرك كله لا يترك جله ، فكان هذا الكتاب هو هذه المختارات ، وكان ترتيبه السابع من سلسلة فى البناء ، وبه نختم الكلام فى هـذه السلسلة التى صدر منها :

١ ـ جند الله ثقافة وأخلاقاً .

٢ ـ من أجل خطوة إلى الأمام .

٣ ـ تربيتنا الروحية .

٤ ـ جولات فى الفقهين الكبير والأكبر .

٥ ــ المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين .

٦ ــ في آفاق التعليم .

٧ ــ هذا الكتاب « دروس في العمل الإسلامي » . وهو كما ذكرنا مختارات من كتاب جند الله تخطيطاً وتنظيماً وتنفيذاً ، وهي مختارات يمكن أن يستكشف المسلم من خلالها كثيراً مما تحتاجه المرحلة مما لم يذكر في هذه المختارات .

وأرجو أن يستفيد من هذا الكتاب كل مسلم وخاصة الطبقة القيادية في الأمة الإسلامية .

• • •

وهذا الكتاب مع إخوته في هذه السلسلة بنيته على فهمي لشريعة الله وعلى اجتهادات حسن البنا رحمه الله ، فالأساس فيه ذلك . وقد يكون لي فيه اجتهادات شخصية ، ولذلك فأنا اعتبرته مرجعاً فقط للعاملين في الحقل الإسلامي في قضايا كثيرة تحتاج إلى توضيح .

• • •

ومن البداية أقول :

إن على حكومات المسلمين واجب حمل الإسلام ، وواجب تعليمه للناس ، وتربيتهم عليه ، والتخطيط لمد رواقه ، والتنظيم لإقامته ، والتنفيذ المتواصل لصالح سلطانه ، كما أن على كل مسلم أن يؤدي دوره في ذلك .

ولكن التجربة العملية أثبتت أن الفاعلية الحقيقية في نصرة الإسلام حتى الآن تكمن في الذين حملوا الإسلام إيماناً وفهماً من المسلمين رغم قسوة الظروف ، ولذلك فإن هذا الكتاب موجه في الدرجة الأولى لهؤلاء الذين هم الأبناء الحقيقيون البررة للإسلام . والذين هم محل الرجاء في نشر الإسلام عالمياً .

ولا نقول هذا هضما لجهد تقوم به حكومة ، بل إننا لنقدر كل خطوة لأجل الإسلام يقدمها بر أو فاجر ، ولكنا نقول هذا لنبين حقيقة الخدمة التي يريد هذا الكتاب أن يؤديها .

• • •

ومن المفيد أن نقول : إن هذا الكتاب لا يغني عن الاجتهاد اليومي في العمل الإسلامي ، فهو يثري بإذن الله الفكر الإسلامي ، ولكن لا ينبغي أن يعطله ، فالحركة اليومية تواجه القيادات كل يوم بجديد ، فالمستجدات كثيرة والصور كثيرة ، ولذلك فإنه لابد من الاجتهاد اليومي والتفكير الدائم والإشراف الكامل على الأوضاع التي تواجهها ، ومن ثم فالقيادات الموفقة تحدث لكل جديد ما يكافئه ولكل تغير ما يناسبه ، فهي دائماً في تقدير للموقف ، وقرار حكيم على ضوء خطة مناسبة ، وهي دائماً تطور تنظيمها على ضوء المستجدات ، وما لم يكن الأمر كذلك فإن الصيغ الجامدة تشل الحركة .

• • •

وقد أسميت هذا الكتاب « دروس في العمل الإسلامي » لأن كل بحث فيه هو بمثابة درس من الدروس التي يحتاجها المسلم في عصرنا ، ولذلك فأول ما يلاحظه قارئه هذا الكتاب أنه لا يسير على قاعدة الأبواب والفصول والفقرات بحيث يضم الباب مجموعة فصول متجانسة ، بل هو مجموعة دروس تنمي آفاق المسلم في الكثير مما يلزمه العلم به في حركته المستمرة .

• • •

إن هذه الدروس تحاول أن تضع نقاط علائم أمام المسلم لتكون لديه مرتكزات هي بمثابة المفاتيح لإطلاق طاقات المسلم في التخطيط والتنظيم والتنفيذ ، وإذن فهذا الكتاب لا ينبغي أن يكون قيداً لا يصلح الخروج عليه ، لأن كل كتاب من كتب البشر لا يصلح أن يكون كذلك . إن أي كتاب

لا يغنى عن وجود القيادة الفاعلة التى تعرف أن تتخذ قراراً حكيماً فى كل ما يواجهها — مستمدة من الله العون طالبة منه التوفيق — .

• • •

يبقى أن نقول : إن هناك من سينتقدنا لأننا طرحنا هذا الكتاب ، والذى نحب أن نقوله إن خصومنا يعرفون ويظنون فينا الكثير ، وقد يعرف عدونا عنا أكثر مما يعرف صديقنا ، وفى كثير من الأحيان يحاسبنا عدونا على أكثر من تفكيرنا ، فإذا حسبنا الحسابات الكثيرة فإن ذلك لا يكون إلا على حساب معرفة المسلم وعلى حساب وعيه .

إننى مقتنع بضرورة إيصال أشياء كثيرة إلى كل مسلم ، لأنه عندئذ فقط لا يستطيع أحد أن يقف أمام التيار الإسلامى .

الدرس الأول

متى يوجد حزب الله على الكمال والتمام

عندما يوجد شخص قد تحقق بمحبة الله . وبالذلة على المؤمنين ، وبالعزة على الكافرين ، والجهاد وتحرير الولاء لله وللرسول وللمؤمنين ، عندئذ يوجد فرد من حزب الله ، وعندما يوجد أفراد هذا شأنهم ولكنهم لا يعرفون بعضهم وبالتالي لا يتواصلون ولا يتعاونون على هدف مشترك ، تبقى المسألة فى صورتها الأولى : وهى أن هاهنا أفراداً من حزب الله . وعندما يضم هؤلاء صف واحد بشروط ذلك ، وينطلقون من خلال الشورى نحو تحقيق هدف مشترك ، عندئذ يكون حزب الله قد وجد . وعندما تتوسع الدائرة ويستوعب هؤلاء ساحة العمل الإسلامى واحتياجاتها ، فيبلورون نظرية كاملة فى الثقافة والتربية والتنظيم والحركة والتخطيط ، فساعتئذ يكون حزب الله قد وجد على الكمال والتمام ، لأنه بذلك تكون البدايات الصحيحة لتحقيق الفروض قد وجدت .

لقد رأينا فى كتاب جند الله ثقافة وأخلاقاً . ما هى ثقافة حزب الله ؟ وما هى أخلاقه الأساسية؟ وكيف أن وجود حزب الله ضرورة حية لكل قطر إسلامى ، وللأمة الإسلامية كلها ، وللإنسانية على محيط الأرض فى حاضرها ومستقبلها ، ولكن وجود حزب الله ليست مسألة سهلة ولا بسيطة ولا عادية ، فليس هو حزباً من الأحزاب الأرضية ، ولا تجمعاً كبقية التجمعات ، ومن ثم فليس نظامه كبقية الأنظمة ، ولا طريقة عمله كبقية الطرق ، ولا وسائله كبقية الوسائل .

إن حزب الله هو حزب الخصائص المحددة المتمثلة فى علم خاص وتربية خاصة ووعى خاص وتطبيق خاص وتركيب خاص . فإذا ما وجد هذا ، ووجدت القيادة والمؤهلون للشورى ، والجند ، وكان للجند خصائصهم ؛ ولأهل الشورى خصائصهم ، وللقيادة خصائصها ؛ وعلى ضوء الخصائص

ينتقل الإنسان من طور الجندى إلى طور القائد ، ومن طور المنفذ إلى طور رجل الشورى . فعندئذ يكون حزب الله قد وجد .

وقبل أن توجد قيادة متوافرة فيها خصائص القيادة ، ورجال شورى متوافرة لديهم خصائص الشورى ، وجند متوافرة لديهم خصائص الجند ، فإننا لا نستطيع أن نقول إن حزب الله كحركة موجود . ومن ثم فإن ميلاد النظام الداخلى لحزب الله يأتى متأخراً على الوجود الفعلى لحزب الله . لأنه عندما لا يوجد إلا رجل واحد متوافرة فيه خصائص القيادة فى حزب الله فإنه لا محل للنظام فى هذه الصورة . وعندما لا يوجد أصلا رجل متوافرة فيه خصائص رجل الشورى فإنه لا محل للنظام ، وعندما لا يوجد جند متوافرة فيهم خصائص الجند فلا محل للنظام ، وإنما المحل لعملية التحقق والتمثل بالخصائص ، بخصائص الجندى ليوجد الجندى ، وبخصائص رجل الشورى ليوجد رجل الشورى ، وبخصائص الأمير ليوجد الأمير ومن ثم نلاحظ أن فكرة النقباء كانت فى العقبة الثانية ولم تكن فى العقبة الأولى ولم تكن بين العقبتين .

وعلى هذا فإن المهمة العظمى للراغبين فى الإصلاح هى إيجاد الرجال المتصفين بالخصائص :

١ ـ خصائص الأمير . ٢ ـ وخصائص رجل الشورى .

٣ ـ وخصائص جند الله .

لأن حزب الله مهمته العامة الجهاد ، ولا ينتظم أمره ، ولا يمكن أن يقوم بمهمته إلا بإمرة وجندية وشورى ، إن الجهاد لا يقوم بلا أمير وجند ، وبدون شورى لا توجد ضمانات للسير السليم ، ولا شورى ولا جندية ولا إمرة إلا بوجود الخصائص .

ومن خصائص الأمير :

الوراثة الكاملة لرسول الله فى الصفات : الأمانة والصدق والتبليغ والفطانة ، وفى تعليم الكتاب والسنة والتربية ، وقبل وجود هذا فلا ولادة كاملة لحزب الله .

وخصائص رجل الشورى :

الإحاطة بالكتاب والسنة مع الوعي والتجربة والتحقق ومعرفة العصر وأهله ، وفي الأثر : « كان القراء أصحاب مجلس عمر كهولا كانوا أو شباباً » أي أصحاب مجلس شوراه .

ومن خصائص جندى الله :

الفهم والتقوى والطاعة ، ومن ثم فإن كل رسول قال لقومه : « فاتقوا الله واطيعون » .

* * *

إنه عندما يوجد رجل الدعوة يستطيع أن يأخذ البيعة على التقوى والطاعة في الخير وعليه أن يسير بالمسلم في طريق الجندية الكاملة لينقله ويؤهله إلى أن يكون رجل شورى ، وعندما يوجد مجموعة رجال متحققين بخصائص رجل الشورى ، عندئذ ينبثق الأمير عنهم .

* * *

عندما قال الله عزوجل : « فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » أفهمنا أن كل مائة ألف من الناس يحتاجون إلى رجل دعوة من الطراز الأول ، وعندما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر نقيباً من مجموع من بايعوه يوم العقبة ، وكانوا فوق السبعين ، أفهمنا أنه توجد الجماعة ذات النظام عندما يصبح عدد جند الله في مثل هذه الحدود .

وعندما يختار عمر مجلس شوراه ممن تحقق بالعلم الشامل ، تعلم من هم مجلس شورى الأمير .

فإذا وجد في كل منطقة أمير متحقق بالخصائص ، له مجلس شورى متحقق بالخصائص ، يساعده في تنفيذ المهمات اثنا عشر نقيباً ، يقود هؤلاء جميعاً العمل التعليمي والتربوى والمالى والسياسي واللساني وغير ذلك، فقد وجد حزب الله ، وإذا وجد أصحاب الخصائص لم يعد هناك إشكال فالانتخاب مقبول ، والتعيين مقبول ، والاختيار المباشر مقبول ، والاختيار غير المباشر مقبول ، والظروف أحياناً هي التي تحدد نوعاً من هذه الأنواع .

* * *

على ضوء هذه المعانى فعلينا أن نحدد مهمات المربين :

١ ــ بذل الجهد من أجل أن يكون الإنسان جندياً لله .

٢ ــ بذل الجهد للارتقاء فى الجندى إلى رتبة النقيب .

٣ ــ بذل الجهد من أجل التحقق بخصائص رجل الشورى .

٤ ــ بذل الجهد من أجل استكمال شروط الإمرة .

وكل ذلك ينبغى أن يرافقه الإخلاص الكامل لله وتحرير النفس بألا يكون عملها لغير الله ، فالله عز وجل يقول :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

• • •

والأدب العام فى مرحلة التأسيس هو الذى يقيد تصرفاتنا وخاصة الآداب التالية :

١ ــ معرفة الفضل لأهل الفضل ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذو الفضل » .

٢ ــ الطاعة بالمعروف لأهل العلم ، فقد فسر ابن عباس قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » بأنهم العلماء .

٣ ــ خفض الجناح للسائلين « واخفض جناحك للمؤمنين » .

ولكن إذا كان حزب الله يوجد على أرض الواقع بذلك فإن الكمال فى حزب الله إنما يكون إذا وجدت نظرية متكاملة فى التربية والتعليم ، وإذا وجدت نظرية صالحة فى النظام والتنظيم ، وإذا أصبحت لحزب الله خطة سليمة واستراتيجية واضحة وحركة يومية متوازنة نحو تحقيق الأهداف ، عندئذ يكون حزب الله مؤهلا ومرشحاً للسير السليم .

الدرس الثانى

من اجل حزب لله واحد . ومن اجل حركة اسلامية موحدة

الأصل أن يكون المسلمون جماعة واحدة فى العالم كله ، فضلا عن أن يكونوا جماعة واحدة فى القطر الواحد ، وقد وضع الأستاذ البنا رحمه الله الأصول العشرين فى الفهم كقاسم مشترك يمكن أن يلتقى عليه المسلمون من ناحية الفهم للإسلام ، وعلى إخوانه أن يوجدوا الصيغ التنظيمية المناسبة للوصول إلى الجبهة الواحدة فى القطر ، أو إلى التنظيم الواحد فى القطر ، ثم إلى الحركة الإسلامية الواحدة فى العالم .

ومنذ سقوط الخلافة حتى الآن لم يستطع المؤمنون بالإسلام أن يشكلوا جماعة واحدة لها قيادة واحدة فى القطر الواحد ، فضلا عن أن تكون لهم جماعة واحدة فى عامة الأقطار : ولذلك نجد فى القطر الواحد تجمعات على أساس التصوف ، وتجمعات تقوم على أساس العلم ، وتجمعات تقوم على أساس عمل الخير ، وتجمعات تقوم على أسس فكرية أو سياسية خاصة ، ونجد أفراداً كثيرين سائبين لاصلة لهم بأحد من الناحية التنظيمية :

إنك لا تجد المسلمين يجمعهم إطار واحد وهدف واحد وتنظيم واحد وفكر واحد ، بل تجد فرقة وتمزقاً . فما السر فى ذلك ؟

إن تأملا هادئاً للقرآن الكريم وللسنة المطهرة يكشف لنا عن أسباب هذا ، كما أن تأملا هادئاً للواقع يكشف لنا شيئاً من هذه الأسباب ، وهذا مجمل ما يمكن رؤيته :

١ - يذكر القرآن الكريم أن من أسباب تفرق بنى إسرائيل نسيانهم جزءاً من الوحى المنزل عليهم ، يقول تعالى : « فنسوا حظاً مما ذكروا به

فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء .... » . وإذن : فعندما يغفل المسلمون أو كل طائفة منهم عن الإسلام ، أو عن جزء منه ، أو عن تطبيق آية ، أو عن السعي لتطبيقها إن كان تطبيقها غير ممكن في الحال كل ذلك يؤدي إلى وجود العداوة والبغضاء .

والناظر لواقع المسلمين اليوم يجد أن بعضهم ينسى أن المسلمين مكلفون بالحكم بما أنزل الله ، وبعضهم ينسى أن المسلمين مكلفون بأن يتعاونوا مع بعضهم على الخير ، وبعضهم ينسى الجانب العبادي ، وبعضهم ينسى الجانب السلوكي ، وعامة المسلمين تصورهم عن الإسلام ناقص . إن نسيان بعض المسلمين أنه لا يجوز أن يعطوا ولاءهم إلا للإسلام وأهله كاف للفرقة ، وذلك موجود . ونسيان بعض المسلمين أن عليهم أن يقيموا الحكم الإسلامي لتقوم أحكام الإسلام والجهاد ، كاف للفرقة ، وذلك موجود .

وقل مثل هذا في كل جانب من جوانب الإسلام نسيه المسلمون . إن هذا سبب رئيسي من أسباب الفرقة بين المسلمين .

٢ – يذكر القرآن الكريم سبباً آخر أدى إلى تفرق بني إسرائيل ، وهو الحسد . قال تعالى : « وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » . وفسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (دب بينكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر وإنما الحالقة التي تحلق الدين) .

فالحسد : لا يمكن أن يتم معه لقاء بين الناس .

٣ – ويذكر القرآن الكريم سبب التأليف الحقيق بين القلوب ، ألا وهو رحمة الله ، ويذكر الصفات التي يستأهل بها أهل الإيمان رحمة الله ، أي وتأليف القلوب بعد ذلك . قال تعالى : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » . وقال ذاكراً صفات من يستأهلون رحمة الله : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن

المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله » . « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

إن فرقة المسلمين مرض ، والمرض لا يشفى بمجرد النداء ، بل ولا بد من علاجه واستئصال أسبابه . وأمراض المسلمين أثر عن هذه الأدواء التى ذكرناها، فلا بد من علاجها . ولا ننسى هنا أن نذكر السبب الذى يفصل عن جسم الأمة أصلا ، وهو اتباع غير سبيل الله ، قال تعالى « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . وعندئذ لا يكون لقاء كما هو واقع فى العالم الإسلامى ككل .

فالعالم الإسلامى ككل سار فى سبل ، وفى القطر الواحد تجد عشرات السبل الشيطانية التى تفرق عن سبيل الله . فلا بد من دعوة كاملة إلى سبيل الله إذا أردنا وحدة حقيقية .

إن معالجة قضية توحيد المسلمين هى فى علاج هذه القضايا أصلا ، إننا ندعو المسلمين فى العالم وفى كل قطر ليشكلوا جماعة واحدة بالارتفاع إلى أخلاق حزب الله وثقافة حزب الله ، والالتقاء حول نظام مناسب وخطة سليمة ، وهذا فرض الوقت والله أعلم .

ونحن منبهون فيما يلى إلى أمور لها علاقة فى هذا الموضوع :

– إن بقاء الفرد سائباً لا تربطه بأى مجموعة من المسلمين رابطة إخاء خاص وضع غير سليم ، لأنه لا يتم بذلك التواصى بالحق والصبر ، ويد الله مع الجماعة . ومن شذ شذ فى النار ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والشيطان من الفذ قريب ، وهو من الاثنين أبعد . (وجبت محبتى للمتحابين فىَّ والمتزاورين فىَّ ، والمتباذلين فىَّ) .

– والإخاء الخاص لا يعنى نسيان الإخاء العام . والولاء الخاص لا يعنى

نسيان الولاء العام . فالله عز وجل جعل عامة المسلمين إخوة ، وجعل عامة المؤمنين متناصرين « إنما المؤمنون إخوة » .

« المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . فلا بد من تناصر بين المسلمين جميعاً ، يبدأ هذا التناصر بالذب عن العرض ، فلا يسمح لكافر أو منافق أو فاسق أن يهاجم إخواننا المؤمنين ، ويبلغ قمته فى القتال المشترك « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

– إن كمال هذا الإخاء والتناصر بين المسلمين إنما يكون عندما يشكل المسلمون جسداً واحداً، وبذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين . وذلك لا يكون إلا إذا كان للمسلمين رأس واحد ، وكان بينهم تعاون ، وكان لهم تحرك سليم منسجم نحو الهدف .

• • •

ولا حجاب بين المسلمين أكثف من عدم فهمهم لبعضهم ، أو حكم بعضهم على الآخرين من بعيد، ولذلك لا بد من فتح حوار بين عامة الإسلاميين ، تحدد فيه نقاط الوفاق والخلاف ، ويعرض كل وجهة نظره، وما دام لها دليلها فصاحبها معذور ، ونجتمع على ما اتفقنا عليه من أصول ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه مما اختلف فيه أئمة الاجتهاد، ولا بد للوصول إلى هذا من وجود عناصر بلغت ذروة الكمال فى أخلاق حزب الله وثقافته ، وهى مع هذا قادرة على تأليف القلوب – هذه العناصر تأخذ على عاتقها الارتقاء بكل الفئات الإسلامية نحو الكمال فى المناهج الثقافية والتربوية والتنظيمية كمقدمة لوحدة المسلمين فى القطر ، وفى العالم . هذه العناصر مهمتها إقناع المسلمين بالسير فى سبيل الكمال ، ثم بالعمل المشترك لتحقيق الأهداف المفروضة على المسلمين .

إن المفاصلة ينبغى أن تتم بين المسلمين وغيرهم ممن ليسوا مسلمين ، أما أن تكون المفاصلة بين المسلمين أنفسهم بسبب من اختلاف على قضية فرعية فهذا من أفظع الانحراف .

إنه لا يكاد يوجد بين المسلمين اثنان من العلماء يتفقان على كل شيء وعلى كل مسألة حتى ضمن المذهب الواحد والاتجاه الواحد : فإذا جعلنا كل مسألة فرعية سبباً للمفاصلة لم يبق اثنان من المسلمين على حالة إخاء وصفاء . إن هناك ناساً على استعداد لأن يشعلوا بين المسلمين حرباً بجعلهم الخلافات الفرعية فيصلا بينهم وبين الآخرين . إن مثل هذا الاتجاه كاف لتحطيم المسلمين وجعل غيرهم يركبونهم كما هو الواقع الآن . إن بعضنا شديد على الآخرين من أجل مثل هذه الأمور شدة تنسيه أولئكم الذين يكفرون ويريدون أن يحكموا بالكفر . إن هذا من أكبر الانحراف عن التصور الإسلامي .

• • •

عندما تكون الدولة الإسلامية قائمة ، والإسلام عزيزاً ، لا يضر المسلمين أن يبحثوا وأن يناقشوا وحتى أن يهجر بعضهم بعضاً من أجل بعض الأمور ، ولكن والأمر ليس كذلك فلا بد من أن يكون المسلمون يداً واحدة على اختلاف اتجاهاتهم المذهبية في الفرعيات ليهبوا الردة ، وإلا حاق بالجميع الدمار .

• • •

وواضح مما تقدم أنه يجب أن يكون المسلمون في القطر الواحد وفي العالم جماعة واحدة ، وأنه يجب أن تضمهم وحدة جامعة ، ولكن ذلك لا يجوز أن يكون على حساب الحق ، بل يجب أن يكون بارتقاء الجميع نحو الحق . كما لا يجوز أن يكون ذلك على حساب الكمال ، بل يجب أن يكون بالسير نحو الكمال .

ومقدمة هذا كله منهاج ثقافي وتربوي سليم يسير عليه الجميع ، وميثاق على أساسه تكون الموازين ، وإن اقتناع المسلم العادي والمجموعة المسلمة والجماعات والتكتلات بمنهاج ثقافي معين وتربية إسلامية معينة وميثاق مرن ، إن الاقتناع بهذا هو المقدمة العادية لجماعة واحدة في القطر الواحد وفي العالم :

وقد أراد البنا رحمه الله من حركة الإخوان المسلمين أن تكون دعوتهم هي القاسم المشترك بين المسلمين ، وأن تكون الإطار الذى يضم عامة المسلمين ، ووضع كل الأسس النظرية والعملية لذلك ، حتى إن الناظر لا يستطيع أن يجد صيغة أكمل من هذه الصيغة للقاء إسلامى صاف ، وقد أمر الأستاذ البنا الإخوان أن يقدموا لبقية الإسلاميين الحب لأنه الطريق الوحيد لإزالة الخلاف وتوحيد الصف .

ولا زالت دعوة الإخوان المسلمين وحدها هى الجسم الذى على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامى فى العالم ، إذ لا يمكن لطريقة صوفية ولا لمذهب واحد ولا للتبنى فى الفرعيات أن يكون هو الأساس . ولأن الإخوان بما لهم من انتشار واسع هم القادرون على أن يكونوا أداة الوصل بين الناس ، ويساعد على هذا أن تركيب الإخوان يسمح لهم بالتطور وتبنى الأفضل .

ولكن الإخوان فى الأقطار التى وجدوا فيها لم يكونوا على حالة سواء فى تمثلهم لدعوتهم كما أرادها الأستاذ البنا ، وكل إنسان عرف الإخوان عن طريق من شاهده منهم ، فاختلفت الآراء فى الإخوان ولم يستطيعوا لأسباب بعضها منهم وبعضها من غيرهم أن يحققوا وحدة المسلمين حتى كتابة هذه السطور . وبناء عليه فإن على الإخوان أن يجروا عملية إعادة صياغة لأنفسهم كى يتمثل بهم حزب الله حق التمثيل لأن أكثر المسلمين تمثيلا لحزب الله هو الذى يملك دعوة الآخرين إلى ما عنده . والإخوان المسلمون دائبون فى هذا إن شاء الله . والإخوان لا يريدون أن يفصلوا أحداً عن فئته التى كان فيها أو عن شيخه الذى انتفع به . فالأستاذ البنا يقول : ومن أراد أن تكون له تربية خاصة فهو وما يختار ، وإنما يريدون أن يقدموا للجميع كمالا ، وليعمل الفرد داخل فئته نحو هذا الكمال ، ومن أجل لقاء يرضى الله ويرضى قلوب المسلمين ليخرجهم مما هم فيه .

لقد جرت عادة الفئات الإسلامية أن تنظر كل منها إلى ما عندها على أنه كل شىء ، والحقيقة ليست كذلك ، فما من فئة ولا مسلم عامل إلا

على ثغرة الإسلام ، وليس واحد منهم ولا مجموعة تسد بالثغر كلها ، فالفقيه المسلم على ثغرة ، والسياسى المسلم على ثغرة ، والمجاهد على ثغرة ، ولا يصح أن نطلب من إنسان أن يتخلى عن ثغرته ، بل علينا أن نطالبه بالبقاء فيها والإحسان ، وعندما يصبح فى كل ثغرة رجل كامل يتفهم أنه من حزب الله ويؤدى دوره متعاوناً مع الآخرين سيصبح المسلمون تلقائياً متجهين اتجاهاً واحداً .

* * *

لقد جرت العادة عند الكثيرين من المسلمين أنه كلما اجتمع عشرة منهم ظنوا أنهم جماعة المسلمين ، واعتبروا حل مشكلة المسلمين بأيديهم ، فنجد فى القطر الواحد عشرات الفئات لا يربطها رباط جامع ، ولم تستطع واحدة منها أن تستقطب الجميع ، وليست كل واحدة منها قادرة حالا أو مآلا على فعل الكثير وحدها ، لأن مشكلة المسلمين فى قطر لا يحلها إلا جميع المسلمين ، وبدون هذا لا يزداد المسلمون إلا ضعفاً .

إن العمل من أجل نقل جميع المسلمين إلى أخلاقية حزب الله شىء مهم وهو البداية ، ولكن النجاح الحقيق إنما يكون عندما يضم جميع حزب الله تنظيم واحد لتحقيق وحدة المسلمين فى كل قطر ووحدة المسلمين فى العالم ، وذلك فى السير فى طريق ذلك من خلال الحب والإخلاص والبحث عن الصيغ التنظيمية .

إن هذه من أهم واجبات المسلمين وإن على الإخوان المسلمين بوعيهم وإدراكهم ونكرانهم لذواتهم أن يكونوا الشرارة التى تحدث التفاعل ، فكما أن شرارة لابد منها لإيجاد ماء من الأكسجين والهيدروجين ، فكذلك لابد أن يتحرك الإخوان المسلمون فى مثل هذا الطريق بالبحث الدائم عن الطرق التى يمكن من خلالها أن يتلاحم الإسلاميون ، وأن تقوم الحركة الإسلامية العالمية الواحدة .

الدرس الثالث

فى ضرورة البحث عن الصيغ التنظيمية من اجل الحركة الاسلامية الواحدة

من فرائض الله على المسلمين أن يكونوا يداً واحدة « واعتصموا بحبل الله جيعاً ولا تفرقوا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » . وعلى المسلمين جيعاً أن يعملوا من أجل تحقيق هذه الفريضة ، ولكن كيف يكون المسلمون فى القطر الواحد يداً واحدة ، كيف يكونون فى إقليم الواحد يداً واحدة ؟ كيف يكونون فى القارة الواحدة يداً واحدة ؟ كيف يكونون فى العالم يداً واحدة وكتلة واحدة ؟

إن علينا أن نفتش عن الصيغ التنظيمية التى تحقق ذلك ، وإن علينا أن نفتش عن الأشخاص الذين يحققون ذلك ، وإن علينا أن نبحث عن الموانع التى تحول دون ذلك فنزيلها .

ولن يعجز المسلمون بفضل الله عن أن يصلوا إلى حد الكمال فى ذلك كله ، وعليهم أن يقفوا كتلة واحدة ضد من يضع العراقيل فى وجه تحقيق هذه الفريضة .

• • •

وإن مما يساعدنا على ذلك أن يوجد ألف باء تنظيمى موحد عند المسلمين ، وأن يوجد وعى إسلامى عظيم على ما ينبغى فعله ، وقد ذكرنا وسنذكر فى هذا الكتاب ما يساعد على ذلك ، مع ملاحظة أن كل ما نذكره هو اجتهاد قابل للنقاش ثم هو ليس صيغة وحيدة ، إن الصيغة الممتازة هى التى تتمخض من خلال الحوار والتى تصنعها التجربة ، المهم أن يمد المسلمون يدهم بعضهم إلى بعضهم وأن يفتشوا عن الحد الأدنى للقاء أو عن الحد الأعلى .

• • •

إنه ما لم يصبح كل مسلم منظماً ، وما لم تلتق التنظيمات الإسلامية على الأهداف ، فإن تفريطاً خطيراً فى فرائض كثيرة يكون قد وقع ؛ ومن ثم فإن امتلاك العقلية المنظمة التى تستطيع إيجاد التنظيم الصالح وتمتلك القدرة على تطويره . كل ذلك مما ينبغى أن يأخذ مداه الآن ، وبدون ذلك فراطىء أقدام الكفار ستزداد رسوخاً وستستطيع أن تتوسع ، ويالهول النتيجة ؟ . ويالصعوبة الكارثة ؟ ويالكثرة الآثم ؟

• • •

الدرس الرابع

حسن البنا رحمه الله يضع اخوانه على الطريق الصحيح في الموقف من غيرهم

في مذكرات الأستاذ البنا رحمه الله فقرة عنوانها (موقف الإخوان المسلمين من غيرهم) قال فيها :

١ - على الأخ المسلم أن يتعرف غايته تماماً، وأن يجعلها المقياس الوحيد فيما بينه وبين الناس .

٢ - كل منهاج لايؤيد الإسلام ولا يرتكز على أصوله العامة لايؤدى إلى نجاح.

٣ - كل هيئة تحقق بعملها ناحية من النواحي من منهاج الإخوان المسلمين يؤيدها الأخ المسلم في هذه الناحية .

٤ - يجب على الإخوان المسلمين إذا أيدوا هيئة ما من الهيئات أن يستوثقوا أنها لا تتنكر لغايتهم في وقت من الأوقات .

٥ - الهيئات النافعة توجه إلى الغاية بتقويتها لا بإضعافها .

٦ - يرحب الإخوان بكل فكرة ترمى إلى توحيد جهود المسلمين في سائر بقاع الأرض وتأييد فكرة الجامعة الإسلامية كأثر من آثار اليقظة الشرقية .

٧ - الإخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الإسلامية ويحاولون التقريب بينها بكل الوسائط ، ويعتقدون أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم . وهم يناوئون كل هيئة تشوه معنى الإسلام مثل البهائية والقاديانية .

هذه فقرة قصيرة ولكن فيها مبادئ كبيرة ، فلنقف عند بعضها :

١ ـ على الأخ المسلم أن يتعرف غايته تماماً وأن يجعلها المقياس الوحيد بينه وبين الناس ، هذه النقطة تفيد ، أنه علينا أن نوجد المسلم الذى يزن كل شيء بميزان الإسلام ويتصرف على ضوء ذلك ، وكل فشل فى هذه النقطة تنعدم به كل موازين النجاح .

٢ ـ (كل منهاج لا يؤيد الإسلام ولا يرتكز على أصوله العامة لا يؤدى إلى نجاح) هذا موقف عام لا يجوز أن نتزحزح عنه أبداً . إن كل نظام يرتكز على غير الإسلام ، أو يحارب الإسلام ، أو لا يتبنى تحقيقه ، فهو نظام لن يترتب عليه إلا الخسران مهما تزخرف ومهما ادعى ومهما كان ، وهذه التجارب العلمانية على أرضنا لم تؤد بالبلاد إلا إلى الخراب الاقتصادى والسياسى والضعف العسكرى ، ومن ثم فإنه يستحيل أن ننظر باحترام إلى أى نظام غير إسلامى ، أو نتصور أنه بإمكانه أن يحرز نجاحاً .

٣ ـ (كل هيئة تحقق بعملها ناحية من نواحى منهاج الإخوان المسلمين ، يؤيدها الإخوان المسلمون فى هذه الناحية) .

٤ ـ يجب على الإخوان المسلمين إذا أيدوا هيئة من الهيئات أن يستوثقوا أنها لا تتنكر لغايتهم فى وقت من الأوقات) . هاتان النقطتان تمثلان استراتيجيتنا من كل هيئة قائمة ، فهناك هيئات تحاربنا ، فهذه سنقابلها بما يكافىء موقفها ، سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية ، وقد نعفو ونصفح ، أما الهيئات التى تحقق جزءاً من أهدافنا فإذا اطمأننا إلى أنها لا تتنكر لأهدافنا فى وقت من الأوقات فهذه الهيئات نؤيدها من هذه الناحية ، فمثلا يوجد أنواع من شيوخ التربية أو شيوخ العلم كل منهم يحقق جزءاً من أهدافنا ، أمثال هؤلاء إذا تنكروا لأهدافنا وغاياتنا فإننا لا نعطيهم تأييدنا ولا نوجه إخواننا نحوهم ، وإذا استوثقنا أنهم لا يتنكرون

لغاياتنا فلهم كامل تأييدنا من هذا الجانب ، وقل مثل هذا فى كل الهيئات القائمة .

٥ - (الهيئات النافعة توجه إلى الغاية بتقويتها لا بإضعافها) . هذا مبدأ عام يشكل جزءاً كبيراً من استراتيجيتنا ، وهو أن كل هيئة نافعة تحقق جزءاً من أهدافنا المحلية والعالمية ولا تتنكر لغاياتنا فى وقت من الأوقات نوجهها إلى الغاية بتقويتها لا بإضعافها ، فمثلا جماعة الدعوة والتبليغ تخدم الإسلام خدمات عالمية ومحلية ، مثل هذه الجماعة يمكن أن نؤيدها ونقويها ونرسل لها قسماً كبيراً من عناصرنا ليعملوا معها كأفراد ، ويلتزموا أثناء العمل معها بكل ما يحرص القائمون عليها أن يلاحظ .

٦ - (يرحب الإخوان بكل فكرة ترمى إلى توحيد جهود المسلمين فى سائر بقاع الأرض ، وتأييد فكرة الجامعة الإسلامية ، كأثر من آثار اليقظة الشرقية) . هذه القاعدة تبين أساساً مهماً من أسس تفكيرها ، فكل خطوة تؤدى إلى تلاحم المسلمين وإيجاد تقارب بينهم لانعارضها ، بل نرحب بها ، إلا إذا كانت من نوع (مسجد الضرار) .

٧ - (الإخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الإسلامية ، ويحاولون التقريب بينها بكل الوسائل ، ويعتبرون أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم ، وهم يناوئون كل هيئة تشوه معنى الإسلام ، مثل القاديانية أو البهائية) .

هذه القاعدة من أهم قواعد البنا الذهبية فى استراتيجيتنا العامة ، فنحن ضد كل حركة خارجة على الإسلام ، كالبهائية والقاديانية ، ونحن نخلص لكل الهيئات الإسلامية ، ومن ثم فلا تعتبر الهيئات الإسلامية حركات منافسة لنا ، بل نحاول أن نكون واسطة التلاحم فيما بيننا وبينها بكل وسيلة . وهذا يوقفنا أمام فكرة الجبهة الإسلامية الواحدة وأمام فكرة تعدد الأحزاب والهيئات

الإسلامية، ونعتقد أن الحب لا غيره بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم، ومن ثم فنحن نعطى المسلمين كل المسلمين الحب . ومن هذه القاعدة تدرك أن هيئات كثيرة يمكن أن تنشأ وتقوم فى القطر الواحد ، هذه الهيئات يمكن أن تكون أحزاباً إسلامية[1] ، ويمكن أن تكون جمعيات خيرية ، ويمكن أن تكون تجمعات حول شيخ علم ، أو تجمعات حول شيخ تربية ، أو غير ذلك من تجمعات تجمعها صفة الإسلامية .

فهؤلاء نخلص لهم ونحبهم ونحاول ما استطعنا التقريب فيما بينهم ، بل سيكون دائماً مذهبنا إيجاد الجبهة الإسلامية الواحدة فى كل قطر ، والتى سنحاول بواسطتها أن يكون للمسلمين موقف واحد من كل حدث ، متناسين ذواتنا فى الله ولله . إذا كان هذا موقفنا من الهيئات الإسلامية ، فهذا موقفنا من كل مسلم : تقديم الحب الخالص ، لأنه بالحب يوجد الأساس لإيقاظ المسلم . إن هذه النقاط تشكل نقاط علام كبرى فى استراتيجيتنا العامة والخاصة . وبهذا يكون الأستاذ البنا قد وضعنا على الطريق الصحيح فى الموقف من غيرنا .

---

(١) نريد بالحزب هنا معناه الاصطلاحى المعاصر ، وإلا فالمسلمون حزب واحد وجماعة واحدة وإن اختلفت اجتهاداتهم .

الدرس الخامس

فى ضرورة العقلية الجماعية ونكران الذات

فى السير الطويل لا يدرى الفرد ما هى حدود دوره وإلى أين سيقطع فى سيره مع القافلة ، وفى سير كهذا لابد أن يتخلى الإنسان عن ذاته ، لأن دوره قد يقتصر على المشاركة فى بعض الطريق ليكمل السير غيره ، فعندما يكون البناء ضخماً يحتاج إلى جهد الأجيال ، فإن منتهى آمال الفرد أن يشارك فى البناء ، وذلك حسبه ، أما إذا فكر أن يقيم البناء منفرداً ، فلا هو يستطيع ذلك ، ولا البناء يتم ، ولذلك نقول : إنه إذا كان فى مرحلة سابقة لا يصح أن ينطلق الإنسان بعقلية فردية فى العمل الإسلامى ، بل لا بد من العقلية الشورية داخل الجماعة الإسلامية الواحدة ، فإنه فى عصرنا تصبح المطالبة أكبر والتفريط أخطر ، وهذا معنى ينبغى أن يؤكد عليه بقوة فى التعليم ، وفى التربية ، وفى التنظيم ، وفى المراقبة والتقويم ، وفى التقييم الخاص لكل فرد ، والمتابعة الدائمة لقطع كل نفس فردى ، أو لكل اتجاه ديكتاتورى ، أو لكل روح محلية قطرية ، أو لكل عقلية جزئية ، والأمر خطير ، خاصة وأن شعوبنا اعتادت الانطلاق المزاجى ، وكثيرون من أبناء هذه الأمة اعتادوا أن ينطلقوا من خلال ذواتهم ، وهو داء خطير لا يقوم معه عمل جماعى .

وقد كنا ذكرنا فى رسالة سابقة أن النصوص تشير إلى مجموعة من الأمراض يتعذر معها العمل الجماعى أصلا : الشح المطاع ، والهوى المتبع ، والدنيا المؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فإذا ما تبع الإنسان هواه ، وأطاع شحه وآثر دنياه ، وأعجب كل ذى رأى برأيه ، فإنه لا يستطيع أن يعيش حياة جماعية ، ومتى وجدت هذه الأمراض فى بيئة تعذرت الحياة الجماعية ، وقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم للإنسان إذا رأى هذه

الأمراض أن يعتزل نوع اعتزال ، ولذلك فإن أهم ما ينبغى أن يلاحظه المربى تطهير الأنفس من هذه الأمراض : ومن أهم ما ينبغى أن يحرص عليه الصف هو تحرير نفسه من هذه الأمراض . فالشح المطاع يعالج من خلال الاعتياد على الإنفاق وعلى الكرم وعلى الإيثار بالقدوة والكلمة والتركيز على المرض حتى يشفى الأخ منه ، وليس هذا سهلا ، فالله عز وجل يقول : « وأحضرت الأنفس الشح » . فالشح حاضر فى كل لحظة مع النفس ، فإذا أرادت النفس أن تتصدق حاول الشح أن يحول دون ذلك ، وإن أرادت أن تطعم حاول الشح أن يحول دون ذلك وهكذا ، فالشح موجود ، وعلى النفس أن تتغلب عليه من خلال تذكر الآخرة ، وما أعد الله عز وجل لأهلها ، ومن خلال التذكر بأن الله عز وجل يعوض « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » .

والهوى المتبع يعالج باعتياد الإنسان مخالفة نفسه ومخالفة هواه فى الله « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنه الجنة هى المأوى » . فالآية تشير إلى الصلة بين خوف الله ومجاهدة النفس ، فمن لم يكن فى قلبه خشية لله فلن ينجح فى التغلب على هواه ، وهو إن نجح فى جانب غلبه جانب آخر ، ومن ثم فلا بد من تنمية الخشية فى القلب ، وذلك فى العلم بالله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . إن المعرفة الذوقية والعقلية لله هى التى تنمو معها خشية الله عز وجل ، وذلك هو الذى يوصل لمخالفة الهوى التى عنها ينبثق الاتباع للنصوص والوقوف عند الحق والتسليم له متى قامت حجته .

والدنيا المؤثرة تعالج بالتذكير فى الآخرة وتعميق طلب الآخرة فى القلب من خلال قراءة القرآن وحضور مجلس الوعظ ، ومن خلال السير إلى الله ، واعتياد مبدأ المحاسبة اليومية والتذكير اليومى بالدار الآخرة ، وما سيلقاه الإنسان أمامه من موت وعالم برزخ ثم نشر وحشر وموقف وحساب وجنة أو نار — نسأل الله الجنة — كل ذلك مع التعريف بحقارة الدنيا وتفاهتها مما يحرص الناس عليه من جاه وعز وفخر ومال وشهوة . . . .

والإعجاب بالرأى يعالج من خلال التبصير بقصور الإنسان ، ومن خلال

إدراك الأخ بركة الرأى الشورى الناضج ، ومن خلال قطع الطريق على الظواهر المرضية ، ومن خلال صف ناضج وعناصر قيادية ناضجة ، يحس الإنسان بقصور الانفراد بالرأى أمامها، وأهم شيء في معالجة المرض هو تعميق الاعتياد على الشورى. جاء أحد الناس إلى أبي ثعلبة الخشني فقال له : كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال أى آية ؟ قال قول الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » : قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن من ورائكم أياماً الصابر فيها مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون بعملكم ، قيل : يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم ، قال : بل أجر خمسين منكم » قال الترمذى حديث حسن غريب صحيح .

هذا الحديث يبين أنه إذا وجدت الأمراض الآنفة الذكر لم يبق أمام الإنسان إلا العزلة والصبر ، وما أكثر أجر الصبر :

إن نكران الذات والتضحية بالمال والنفس والجهد والوقت هي بالمقدمات العادية للوصول إلى عمل جماعى ، وإن المسلمين أحوج ما يكونون إلى مثل هذا لإقامة عمل جماعى قادر على تحقيق الأهداف ، وبداية ذلك كله وجود القناعة بالعمل الجماعى ، ووجود العقلية القادرة على التلاؤم معه وشروط ذلك التحقق بمعان والفرار من معان .

الدرس السادس

فى عقلية البناء

أخطر مهمات فى هذا العالم وأعظمها هى المهمات التى تستهدفها الحركة الإسلامية لأنها تستهدف بناء هذا العالم من جديد ، ابتداء بالإنسان وانتهاءاً بإيجاد نظام عالمى يناسب الإنسان ، ومروراً بالأسرة والمجتمع والشعوب والأمم والمؤسسات ، وهذا يقتضى عقلية بناءة ونظرية فى البناء .

وكل بناء يحتاج إلى خريطة ، وبناؤنا مادام على هذا المستوى فإنه يقتضى خرائط متعددة : خريطة لبناء الشخصية ، وخريطة لبناء الأسرة ، وخريطة المجتمع ، ومؤسساته ، وخريطة لإعادة بناء العالم الإسلامى ، وخريطة لإعادة صياغة هذا العالم .

وكل هذا يقتضى برمجة تلاحظ الأولويات والطاقات والظروف ، وهذا كله لا يقوم إذا لم توجد عقلية البناء والشخصية القادرة على البناء ، وهكذا تواجهنا الصورة المكررة : أن البداية الصحيحة لكل شىء هى وجود الإنسان القادر على الوصول إلى هذا الشىء ، فالبناء ــ أى بناء ــ يحتاج إلى عقلية قادرة على تصوره وإقامته وأحكامه .

وهذا يقتضى منا بالضرورة أن نفتش عن الإنسان المؤهل للبناء الذى نريده ، وإذا لم يكن هذا الإنسان موجوداً فعلينا أن نؤهله .

وكما أن هناك معاهد لإيجاد أنواع من المهندسين فعلينا أن توجد المعاهد لتأهيل هذا النوع من البنائين . ومن أهم ما ينبغى أن تلاحظه هذه المعاهد :

١ ــ إخراج المسلم من أخلاق بيئته وحرفته إلى أخلاق النبوة وسمتها .

٢ ــ أن تدرب المسلم على الكلمة المسؤولة الموزونة البانية .

٣ ــ أن تربيه التربية التي تناسب الهدف الذي ينبغي أن يحققه ، وأن تثقفه الثقافة التي تناسب الهدف .

٤ ــ أن تجعله قادراً على صنع القرار الحكيم .

٥ ــ أن تدربه على الخضوع للقرار الشورى ولو خالف رأيه .

٦ ــ أن تدربه على طريقة المناقشة الحكيمة ، وأن تعلمه وسائل عرض الرأي والإقناع .

٧ ــ أن تعلمه كيف يستفيد من النقد ويحوله إلى اقتراح بناء .

٨ ــ أن توضح لديه الفارق بين عقلية البناء وعقلية الهدم : فما أسهل الهدم وأصعب البناء .

٩ ــ أن تعرفه كيف يطور الموجود ويوجد المفقود ، وأن تحذره أن يهدم الموجود ، ويعجز عن إيجاد المفقود .

١٠ ــ أن تعرفه كيف يستفيد من كل من حوله وما حوله للوصول إلى الهدف .

إن عملية البناء الصعب الذي نريده تجعلنا نفتش عن المؤهلين للبناء للبناء لندفعهم فيه على ضوء نظرية صحيحة في البناء .

والعجز عن ذلك يعني الانحسار ثم البوار .

ولنعرض هذا الموضوع بشكل آخر :

إن المتتبع لسير الحركات الإسلامية خلال قرن من الزمان يجد أكثرها تسير من مرحلة تجارب مصبوغة بالآلام إلى مرحلة اندفاعات شديدة يائسة تتسم بقصر العمر ، والمتتبع لأنواع الارتباطات بين المسلمين خلال هذه المرحلة يجدها في الغالب ارتباطات على ولاءات كافرة أو غير جائزة شرعاً ، أو هي ولاءات هجينة أو خطيرة ، أو أنها ولاءات غير مبصرة ، وقد آن هذا كله أن ينتهي ، وقد آن للمسلمين أن يصلوا إلى عمل إسلامي

ناجح تنتهى فيه الاندفاعات العاطفية وردود الفعل غير المدروسة لصالح عمل محكم البدايات والنهايات ، وتنتهى فيه الولاءات غير المبصرة لصالح الولاء الوحيد الواجب ، وهو الولاء لجماعة المسلمين المتوافرة فيها شروط الجماعة ، وتذوب فيها كل التجمعات المحدودة الأغراض والمقاصد لصالح التجمع الإسلامى الواحد بشكل ما بحيث ينتهى معه شعور المسلم أنه فرد معزول أو معتزل لصالح الشعور أن المسلم جزء من أمة عريضة موجودة فى كل مكان ، فينتهى بذلك استقطاب المسلم المخلوع . وتعود إلى المسلم ثقته المطلقة بنفسه ورسالته ، رسالة الحق والعدل وتحرير الإنسان من عبودية العباد إلى عبادة الله ، بدلا من هذه الدوامة التى يعيشها الكثيرون من المسلمين المخدوعين بما يقوله أعداؤهم الذين يريدون أن يبقوا هذا المسلم مغلول اليد ، مسلوب الإرادة ، عميلا لهذه الجهة ، أو تلك الجهة ، ضد الإسلام نفسه .

إنها لعبة خطرة أن يقال للمسلم إياك أن تجاهد لصالح الإسلام ، فليس من حق الإسلام أن يحكم ، وجاهد من أجل الشيوعية أو الرأسمالية أو غيرها ، لأن من حق هذه أن تحكم . لقد آن الأوان ليخرج المسلم المخدوع من هذه اللعبة ليدرك أن عليه أن يعمل لتحكم كلمة الله هذا العالم فتكون هى العليا . لقد آن الأوان لعمل إسلامى ناضج يؤتى ثماره فى هذه الأرض طولا وعرضاً ، فتتساقط الأنظمة الخائنة كلها واحداً بعد واحد أو واحداً مع واحد لصالح الحركة الإسلامية ، وبتخطيط منا قبل وبعد ، محسوباً لكل شىء حسابه ، من إمكانيه تكتل العالم كله ضدنا . كما حدث للدولة العثمانية آخر عهدها ، إلى احتمال المفاجآت الكثيرة على أرض الواقع ، مرسوماً لكل شىء طريقه : للعمال والفلاحين والموظفين والعسكريين والمسلمين وغير المسلمين ، إلى غير ذلك .

لقد تحدثنا فى مقدمة كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقاً » عن الثورة الثانية . وتحدثنا عن بعض أهدافها وآفاقها . فى كل قطر وعلى امتداد العالم الإسلامى . ثم على امتداد العالم كله ، وفى هذه السلسلة حديث مفصل عن كثير من

الأمور مما له صلة فى الرحلة من الفرد إلى الدولة العالمية ، كما كان كلام له صلة بشىء من لوازم ذلك أو بشىء فى صميم ذلك . وإن كان ههنا كلام يقال فإنما هو فى بعض ما يلزم القيادات التى عليها أن تقود هذه الرحلة الشاقة من نسيان للذات ، أو قدرة على التحليل السياسى الصحيح ، واتخاذ الموقف الرصين ، مهما كانت الضغوط العالمية أو المحلية ، ومهما كانت ضغوط القاعدة نفسها ، فالرحلة الشاقة الطويلة التى تبدأ من الرحلة بالإنسان من طور إلى طور ، ثم الانتقال بكل قطر من طور إلى طور ، ثم عملية الوصول إلى الدولة الإسلامية الواحدة ، ثم القفزة بهذه الدولة لتصبح أقوى دولة فى العالم ، ثم بذل الجهد على المستوى العالمى لنشر كلمة الله ، ثم بذل الجهد لتكون كلمة الله هى العليا فى العالمين ، إن هذه الرحلة الشاقة الطويلة لن تتم بدون قيادات ذات خصائص نفسية وعقلية من نوع معين ، فإذا وجدت هذه العقليات فقد أصبح السير على صعوبته ممكناً ، وإذا لم توجد هذه العقليات فإنه لا سير أصلا .

هذا النوع من القيادات وما ينبغى أن يفعله فى كل قطر وفى مجموعة الأقطار الإسلامية ، وعلى مستوى العالم كله ، من خلال استراتيجية عالمية ومحلية ، ومن خلال فاعلية فى التنفيذ لتحقيق مستلزمات هذه الاستراتيجية ، هذا النوع من القيادات ينبغى أن يكون على أعلى مستوى فى ثقافة العصر وفى الثقافة الإسلامية وعلى أعلى مستوى فى الخصائص وإتقان العمل وإدراكه الفطرى لمستلزماته .

فالقيادات الناجحة هى روح العمل الناجح . ولنا عودة إلى هذا الموضوع .

الدرس السابع

بين العفوية والتخطيط . بين المحلية والعالمية

بين التفجع والانطلاق المكافىء

(ا) بين العفوية والتخطيط :

يقوم العالم كله الآن على التخطيط ، وتخطط القوى الكبرى لإضعاف الإسلام أو استئصاله ، كما تخطط لإحكام السيطرة والنفوذ على الأقطار الإسلامية ، ومع ذلك فإن المسلمين الملتزمين بالإسلام لا زالوا بين اتجاهين :

الاتجاه الأول: اتجاه لا يرى ضرورة للكلام عن خطة عامة شاملة ، أو خطة قطرية محلية ، لأنه يرى أن ما فى الكتاب والسنة كاف لتوجيه كل شىء وبالتالى فلا علينا من حرج إذا ما انطلقنا على ضوء الكتاب والسنة علماً وعملاً .

الاتجاه الثانى : يرى أن وضع الخطط جزء من الأخذ بالأسباب ، وهو تحقيق لأوامر الله عز وجل فيما كلفنا به من الأخذ بالوسائل المشروعة للوصول إلى الأهداف المشروعة ، وذلك لا يتناقض مع الأخذ بالكتاب والسنة ، بل هو تحقيق لعموميات كثيرة موجودة فى الكتاب والسنة ، فقد وصف الله عز وجل العبد الصالح فى سورة الكهف فقال : « وآتيناه من كل شىء سبباً فأتبع سبباً » . وفى قراءة « فاتبع سبباً » . أى أخذ بالأسباب الموصلة إلى الغايات ، وإذا كان التخطيط مطلوباً فشىء بديهى أن تكون كل خطة من خططنا منبثقة عن الكتاب والسنة اللذين علمانا أن هناك وضعاً استثنائياً ، ووضعاً أصلياً ، وأن هناك وضعاً اختيارياً ووضعاً اضطرارياً ، وأن هناك رخصة وعزيمة ، وأن المسلم ينطلق فى حركته على ضوء ذلك كله . فالعزيمة وحدها

لم تسع حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فإن الحركة الإسلامية تنطلق فيما تعتمده من خطط في سيرها على الاهتداء بحكم الله مأخوذاً من أهله وبالشورى مع ملاحظة أن تكون هذه الخطط قابلة للتنفيذ ، وأن يراعى فيها كل ما ينبغي مراعاته ، فكثيرون من الناس لا يفرقون بين التخطيط القابل للتنفيذ وبين النوم المميت بدعوى التخطيط الخيالي الحالم . ذلك عمل الرجال ، وهذا عمل الأطفال . وكثيرون من الناس يتقوقعون على نظريات ثابتة في الاستراتيجية والحركة والتنظيم والتنفيذ في الوقت الذي تمور فيه الدنيا من حولهم حتى ليقتضى ذلك منهم كل يوم تعديلا على خطة السير . كما أن كثيرين لا يحسنون التعديل فيتركون ما هو الأحسن وينتقلون إلى ما هو الأسوأ . وآخرون لا يعرفون الشروط الضرورية لتحقيق هدف ما فيعملون ويقضون حياتهم على أوهام تحقيق الهدف ولا هدف . وآخرون لا يعرفون أن يستفيدوا من إيجابيات تخدمهم وأن يتغلبوا على سلبيات تعترض طريقهم في الوقت الذي يشكل هذا وهذا ثلاثة أرباع النضج في حركتهم وبعض الناس يفضلون أن تبقى بعض الأمور مائعة أبداً على أن ينطلقوا انطلاقة ضئيلة البدايات عظيمة النتائج . ولئن كان هذا كله خطأ في حق كل إنسان إلا أنه في حقنا نحن الإسلاميين أكبر وأشد .

ولذلك فإن علينا أن نراعى في تخطيطنا أموراً كثيرة .

فبعقلية تعرف حدود الممكن على ضوء سنن الله بالمسلمين المؤمنين ، وتعرف التكليف في حـــــدود الواقع الذي ابتلى به المسلمون ، وبعقلية تعرف أن في هذا الدين حداً أدنى وحداً أعلى ، وأن فيه رخصة وعزيمة ، وبعقلية تمتلك أكبر قدر من المرونة في الحركة على ضوء الإسلام يكون التخطيط والسير ، وبدون ذلك فإن خضم السنن الكونية سيصرعنا .

فالله جلت حكمته ما جعل شريعته على ما هي عليه من رخصة وعزيمة إلا ليحسن المسلمون السير على قدر طاقتهم وبحسب الظروف التي تحيط بهم ، وفي كثير من الأحيان تكون العنجهية والكبرياء والمواقف المتشددة مليئة

بالوباء والضعف الحقيق الذى ليس وراءه طائل . ومن تأمل مذكرات الإمام الشهيد حسن البنا وجد نماذج السير الواقعى ، الملاحظ به الزمان والمكان على ضوء الإسلام ، وفى ذلك تكمن بذور النموذج الأدق للسير العام للحركة الإسلامية . والذى يريد أن يحمل المسلمين على العزيمة وحدها يريد شيئاً لم يرده الله عز وجل ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل هو ينسى القدوة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى هذا الشأن ؛ وسير هذا شأنه سير مشؤوم، فقد قال عليه الصلاة والسلام : (إن شر الرعاء الحطمة). والرخصة ليست هدفاً فى حد ذاتها للحركة الإسلامية ، بل بالطاقة والمصلحة يتقرر الأخذ بالرخص أو العزائم . وعلى ضوء ذلك يكون التخطيط واتخاذ القرار . « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

إننا نحن المسلمين فى حركتنا لا بد أن نوائم بين مجموعة أمور ، بين كوننا جزءاً من أمة نتحرك بحركتها ، وبين أوضاع محلية لا نستطيع الخروج منها ولا السير بدونها ، وبين وضع إسلامى متخلف وبين أهداف كبيرة وعظيمة . وكل ذلك يحتاج إلى أن تكون كيفية المواءمة واضحة لدينا .

وعلى هذا فلا بد للمسلم أن تنضج تصوراته حول العمل والتنظيم والدعوة والتربية فى عصر لا يمكن للعفوية أن تعطى ثمارها كاملة فيه . وكما قلنا فإن الدول الكبرى تخطط للعالم كله وترصد كل ما يجرى فيه ، وتحاول أن تجعل كل شيء يسير فى الطريق الذى تريد، وإن آلاف المؤسسات تعمل نفس العمل وكل العالم لا يرغب أن يأخذ الإسلام مداه فى العالم . أفيمكن أن يقابل هذا كله بعفوية تفكير رجل الحى أو شيخ البلد .

فالتنظيم والتخطيط وأمثال هذه المعانى لا بد وأن تقابل بمثلها . ثم إن العاملين لإقامة الإسلام كله لا يستطيعون إقامة الحجة على بقية المسلمين بوجوب السير معهم ، إلا إذا أحس الجميع بنضجهم ، ووثقوا بفهمهم وحكمتهم ، ووثقوا بإجابتهم الصحيحة على كل سؤال يلزم للسير ، هذا مع ضرورة كون هؤلاء العاملين لا يقصرون عن غيرهم فى كمال هو فيهم .

وهذا كله يقتضى أن يعى العاملون كل الشروط اللازمة لجعل الناس يثقون بتخطيطهم :

(ب) بين المحلية والعالمية :

من العجيب ونحن نواجه تخطيطاً عالمياً أن نجد من يريد أن يقابله بعمل إسلامى محلى . ومن العجيب – وقد أمر الله عز وجل المسلمين أن يكونوا يداً واحدة ، وجعلهم جسداً واحداً له رأس واحد – أن تتغلب الاتجاهات المحلية على الفرائض الكبرى التى من جملتها أنه يجب على المسلمين فى العالم أن يكونوا يداً واحدة ؛ على أنه فى المقابل تقول : إن الاتجاهات المحلية لوجودها أسباب لابد من إزالتها : وذلك بمراعاة نظراتها الصحيحة التى اقتضت وجودها وبتعقيد الصيغ التى تجمع بين لوازم سيرها فى أقطارها وبيئاتها وبين العشوائية وبين سير الحركة عامة ، كما أنه لا بد من إيجاد الصيغ التنظيمية المريحةوالمرنة التى تجعل هذه الاتجاهات لا ترى ضرراً فى السير ، ثم لا بد من تنميةالثقة فى التنظيم العالمى من خلال الثقة بالأشخاص القائمين عليه .

(ج) بين التفجع والانطلاق المكافئ :

كثيرون من المسلمين لم يفطنوا إلى أن عليهم واجباً يفعلونه بأنفسهم ولأنفسهم ، وواجباً يتحركون به نحو تحقيق الأهداف الإسلامية العامة من إقامة دولة الله إلى فرض كلمة الله على العالم . وكان ذلك من أبرز ما ذكرت به دعوة حسن البنا ، التى اعتمدت التخطيط بدل المحلية ، والانطلاق المكافئ بدل التفجع ، ومن القيام بالواجب الشخصى إلى العمل نحو تحقيق الهدف العام .

الدرس الثامن

فى الاستراتيجية العالمية والاستراتيجية المحلية

لابد للحركة الإسلامية وهى سائرة أن تكون لديها استراتيجيتها التى تعتبر أساساً لخطتها فى الإطار العالمى أو فى الإطار المحلى ، فلكل قطر أوضاعه الخاصة التى تفرض أن تكون له استراتيجيته الخاصة ، وللعالم أوضاعه التى تفرض على الحركة ككل استراتيجية من نوع خاص ، ولابد من تنسيق ما بين الاستراتيجية المحلية والاستراتيجية العالمية . فالحركة الإسلامية فى بلد كسورية لابد أن تكون لها استراتيجيتها الخاصة بها والمختلفة إلى حد ما عن الاستراتيجية الخاصة للحركة الإسلامية فى لبنان ذى الوضع الأكثر تعقيداً من سوريا ، والحركة الإسلامية فى الهند لا بد أن تكون لها استراتيجيتها الخاصة بها والمختلفة عن الاستراتيجية الخاصة فى باكستان بحكم كون المسلمين فى الهند أقلية وفى باكستان أكثرية ، والحركة الإسلامية فى تركيا لا بد أن تكون لها استراتيجيتها الخاصة بها ، والمختلفة عن الاستراتيجية الخاصة للحركة الإسلامية فى إيران ، والاستراتيجية الخاصة للحركة الإسلامية فى العالم الإسلامى تختلف عن الاستراتيجية الخاصة للمسلمين فى الاتحاد السوفييتى أو الصين الشعبية .

ولكن هذه الاستراتيجيات الخاصة للحركة فى كل قطر ينبغى أن تخدم الاستراتيجية العامة للحركة الإسلامية فى العالم ، وينبغى أن تكون الحركة الإسلامية العالمية قادرة على تسخير كل شىء بما يخدم القضية الإسلامية بشكل عام .

إنه عندما تكون الحركة الإسلامية مستوعبة الإطار الكلي للحركة المناسبة في هذا العالم ، تستطيع أن تستفيد من السلبيات لتجعلها إيجابيات ، وتستطيع أن تجعل كل تحرك إسلامي في العالم يخدم الاستراتيجية المحلية أو الاستراتيجية العالمية للحركة الإسلامية ، فحركة دعوية عالمية بحتة تخدم بلا شك الاستراتيجية العالمية للحركة الإسلامية ، لأنها تصل إلى كل مكان ، وتذكر بالحد الأدنى من الإسلام الذي لابد منه ، كما يمكن أن تخدم الاستراتيجية المحلية لأي جماعة إسلامية في أي قطر ، وحلقة علمية في بلد تخدم بلا شك الاستراتيجية المحلية للجماعة الإسلامية في هذا البلد إذا أحسنت هذه الجماعة الاستفادة من ذلك ، يبقى أن نحدد ما نريد بالاستراتيجية العالمية والاستراتيجية المحلية ؟ أما الاستراتيجية العالمية فنحن كمسلمين نؤمن بالوحدة الإسلامية ونؤمن بالدولة الإسلامية العالمية الواحدة ، وعلينا نتيجة ذلك أن نرسم مخططاتنا على ضوء ذلك ، وأن ندرس كل قضية تخدم هذه الأهداف ، وأن نقضى على كل ما يحول دوننا ودونها أو يبعدنا عنها ، وأن ندرس آثار كل تحرك على هذا الموضوع ، ونقف منه سلباً أو إيجاباً . ويجب أن لا تتعارض استراتيجيتنا المحلية مع هذا ، ولكل قطر أوضاعه الخاصة ، وعلى أهل كل قطر أن يستوعبوا هذه الأوضاع الخاصة وأن يرسموا مخطط عملهم على ضوئها بما لا يتناقض مع المخطط العام للحركة الإسلامية العالمية ، فلا بد من التنسيق بين الاستراتيجية العالمية والاستراتيجية المحلية ، فالتنسيق بين الاستراتيجيات الخاصة ضمن الاستراتيجية العامة أمر لا بد منه . هذا كله متوقف على وجود الرجل الاستراتيجي في إطار القطر وفي إطار العالم .

إنه للوصول إلى استراتيجية صحيحة محلية ، وإلى استراتيجية إسلامية عالمية سليمة ، لا بد من وجود الرجال الاستراتيجين القادرين على استيعاب ما أمامهم ورسم مخطط العمل على حسب المعطيات ، ثم تنفيذ هذا المخطط في العمل اليومي للوصول إلى الهدف النهائي ، وحجر الزاوية لهذا كله هو

قيام جماعة إسلامية ناضجة فى كل قطر ، تنبثق عن هذه الجماعات المحلية قيادة إسلامية عالمية تحسن استيعاب المناخ العالمى للعمل الإسلامى ، وتستطيع أن تتحرك على ضوء ذلك .

ولا يجوز لأى جماعة إسلامية فى أى قطر أن تنتظر وجود هذه القيادة العالمية لتتحرك ، بل يجب على كل جماعة إسلامية فى أى قطر أن ترسم استراتيجيتها وتنطلق ، فإذا استطاعت أن تحقق هدفها الأول فى قطرها أصبحت أقدر على الوصول إلى رسم الاستراتيجية العالمية ، وإذا أمكن الوصول إلى عالمية قبل ذلك فبها ونعمت ، والمهم أن لا نعيش على أحلام ونحن ساكنون ، وألا نقعد بحجة نقصان بعض الأدوات ، بل علينا أن نعمل لاستكمال الأدوات وعلى طريق تحقيق الآمال الإسلامية الصافية .

الدرس التاسع

فى البحث عن السنة الكونية والحركة على ضوئها

إن التكليف الإلهي مرتبط بعالم الأسباب وبسنن الله الكونية وهذه قضية يهملها بعض الإسلاميين ، فالله عز وجل جعلنا مقيدين بعالم الأسباب والسنن ، وعالم الأسباب والسنن قد يخرقه ربنا معجزة لنبى أو كرامة لولى ومع هذا فنحن مكلفون ضمن عالم الأسباب مع ملاحظة أن الله عز وجل يسهل للمؤمن ما لا يسهله لغيره ، فقد جعل الله عز وجل بعض سننه ما هو خاص بأهل الإيمان ومن ثم قال الله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » . ونحن فى سيرنا لتحقيق هدف لا بد من أن نبحث عن سنن الله عز وجل وعن الأسباب التى جعلها وسيلة لهذا الهدف ، قال تعالى عن ذى القرنين « وآتيناه من كل شىء سبباً فأتبع سببا » . لاحظ أن ذا القرنين قد اتبع الأسباب التى أعطاه الله عز وجل إياها ، ومن منة الله عليه أنه أعطاه من كل شىء سبباً يتوصل به إلى المقاصد ، فالبحث عن السنة الإلهية فى كل أمر والسير على ضوئها لا يجوز إهمالها . قال تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . إن هناك وسائل كثيرة لصياغة الرأى العام وهى جزء من عالم الأسباب فأن نغفل الوسائل المشروعة لصياغة الرأى العام تفريط . والوصول إلى الحكم مرتبط بسنن وله وسائل وغيرنا يستعمل هذه الوسائل ويعطيها مداها ؛ فإن نغفل الوسائل المشروعة أو المباحة للوصول إلى ذلك تفريط ، وصياغة النفس البشرية لها سنن . وعلينا أن نبحث عن هذه السنن للوصول إلى النفس المسلمة وإغفالنا لذلك تفريط . وللصراع البشرى قوانينه ، وللقتال قوانينه ، وللسيطرة قوانينها ، وكل ذلك علينا أن نبحث عنه وأن نصفيه على ضوء الإسلام ، إننا نريد أن نحقق أصعب الأهداف المحلية والعالمية ؛ فإن نغفل الأسباب الموصلة إلى ذلك فذلك تفريط كبير

إن لم يكن إثماً كبيراً ، إن من فروض الكفاية فى الإسلام أن يوجد المختصون فى كل علم تحتاجه الأمة الإسلامية ، ومن جملة ذلك العلوم السياسية والاقتصادية وغيرها ، أفترى أن هذه العلوم فرضت علينا لنفرط بعد ذلك فلا نطبقها أو نهمل العمل بمقتضياتها ؟ .

إن المسلمين هم أسبق الناس إلى معرفة سنن الاجتماع وأسباب العمران ، أفليس من التفريط أن لا تكون لنا نظرتنا الشاملة إلى كل ما حولنا على ضوء سنة الله وعالم الأسباب ، وألا نبنى على ضوء ذلك استراتيجيتنا وخطتنا للوصول إلى أهدافنا ، إننا إذا لم نفعل ذلك فإننا سنبقى نسير من عجز إلى عجز ، يقول الأستاذ البنا رحمه الله : (أيها الإخوان المسلمون : ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق على أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر ، وما هي منكم ببعيدة) .

إن البحث عن الناموس الكونى وعن سنة الله فى الشأن المراد من أهم أوصاف القيادة الراشدة ، فهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أكثر الناس توكلا ، ولكنهم كانوا أكثر الناس يقظة وحذراً وبعداً عن التفريط فى أى موقف من المواقف ، ومن درس سيرتهم أدرك كيف كانوا لا يفرطون ، بل كانوا يعطون كل موقف ما يستحقه من الدراسة ويقابلونه بما يكافئه فى حدود إمكاناتهم .

الدرس العاشر

فى الأصول العامة والقواعد الاستثنائية
والحركة اليومية والقيود فى ذلك وخطأ بعض التعميمات

بعض العاملين للإسلام يتحركون وكأن الشريعة كلها عزائم لا رخص فيها ، وبعضهم ينطلقون مترخصين حيث لا ينبغى الترخص ، وكثيرون لا يلحظون الأوضاع الاستثنائية التى تقتضى فتاوى استثنائية ، ولذلك تأثيراته على التفكير وعلى الحركة وعلى التخطيط ، ومن ثم أدخلنا هذا البحث فى هذا الكتاب لصلة ذلك بموضوع التخطيط والسير .

فى الشريعة الإسلامية أحكام أصلية وأحكام استثنائية ، فالأصل حرمة لحم الخنزير ولكنه يجوز أكله فى الحالات الاضطرارية ، والأصل حرمة شرب الخمر ولكنه يجوز شربه فى حالات اضطرارية ، وفى التعامل مع الكافرين هناك أصول عامة وحالات استثنائية ، وهكذا فى كثير من الحالات نجد أصلا عاماً ونجد أحكاماً استثنائية، ومنذ وقع العالم الإسلامى تحت سلطان الكافرين وجدت مدرستان: المدرسة التى وقفت عند الأصول فحسب فى الموقف من الكافرين ، والمدرسة التى نظرت إلى القواعد الاستثنائية وعممتها وبدأت تطبيقها ، ونجد فى كل من المدرستين متطرفين ومعتدلين ، والملاحظ أن هاتين المدرستين لا زالتا قائمتين . كما أن هذين الاتجاهين يفرضان نفسيهما ، ففى كل قضية نجد أبناء المسلمين ينقسمون قسمين قسماً ينظر إلى المسألة من خلال الأحكام الأصلية ، وقسماً ينظر إلى المسألة من خلال القواعد الاستثنائية ، كقاعدة (يختار أهون الشرين) ، وكقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) ، وكقاعدة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف) ، وكقاعدة (الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أم خاصة) .

والإسلام هو مجموع الأحكام الأصلية والأحكام الاستثنائية ، فعندما يبتلى المبتلى بوضع تنطبق عليه الأحكام الاستثنائية فيسير على ضوئها لا يعتبر خارجاً على الإسلام أو مخالفاً لأوامره ، بل قد يكون فرضاً عليه تطبيق الحكم الاستثنائى ويكون آثماً لو خالفه أو مأجوراً لو فعله . ومن أمثلة ذلك :

(أ) حرم الله علينا ألا نعين الظالمين على الظلم ، ولكن لو أن بعض أنواع من الظلم واقعة لا محالة وكان باستطاعة إنسان أن يخففها يفعل أو لا يفعل؟ هناك حالات يجوز للإنسان أن يفعلها ، وحالات لا يجوز . والمثال الذى ضربه الفقهاء على حالات الجواز هو : لو أن إنساناً باشر جباية الضرائب الظالمة وتوزيعها على المفروضة عليهم بالعدل والإنصاف ، ولو وزعها غيره ظلم فى التوزيع قالوا عن الذى وزع الضريبة الظالمة بالعدل والإنصاف : هو كالمجاهد فى سبيل الله . انظر حاشية غاية المنتهى فى فقه الحنابلة ، فقد قالت : (ومن باشر جبايتها وتحصيلها إعانة لمن تؤخذ منه لا للآخذ متحرياً للعدل والإنصاف فأجور بذلك وليس من أعوان الظلمة) .

وقال بعض الحنفية شعراً :

ولـــو بتوزيع المغارم التى كلفهـــا السلطان للرعيـة
قام بها شخص بعدل ذكروا بأنه فى ذا المقام يؤجر

أقول : على أن بعض المظالم لا تجوز المشاركة فيها ولا الإعانة عليها فى كل حال .

(ب) قال القدورى : (ومن أكره أن يأكل الميتة أو يشرب الخمر ، وأكره على ذلك بحبس أو ضرب أو قيد ، لم يحل له إلا أن يكره بما يخاف منه على نفسه أو على عضو من أعضائه ، فإذا خاف ذلك وسعه أن يظهر ما أمروه . ويورى ، فإذا أظهر ذلك وقلبه مطمئن بالإيمان فلا إثم عليه ، وإن صبر حتى قتل ولم يظهر الكفر كان مأجوراً) .

(جـ) ذكر ابن كثير عند قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم » .

قال وكيع : أخبرنا الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال : (من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار) . وهذا يقتضى أن أكل الميتة للمضطر عزيمة لا رخصة . قال أبو الحسن الطبرى المعروف بالكيا الهراسى رفيق الغزالى فى الاشتغال : (وهذا هو الصحيح عندنا كالإفطار للمريض ونحو ذلك) . فالأحكام الاستثنائية إذن أحكام شرعية وتطبيقها يكون من باب العزائم أحياناً ، ونحن المسلمين فى سيرنا الفردى أو فى سيرنا الجماعى ينبغى أن نلاحظ الأصل العام والأوضاع الاستثنائية وأحكامهما وأن نلاحظ الرخص والعزائم على :

ألا نتبنى موقفاً لا يجوز شرعاً .

وأن نعتمد الموقف بعد شورى إذا أمكن ذلك .

وبعد هذه القيود فإننا نؤثر ألا تتقيد الجماعات الإسلامية بأى قيد ، لأن التقييد سيكون على حساب العمل ومرونته ، وعلى حساب الصالح العام للإسلام والمسلمين ، إما كأفراد وإما كجماعة .

إنه لمن أشد الخطأ أن نقيد الحركة الإسلامية بقيود قد تصلح لمكان ولا تصلح لآخر ، إن خطة التنفيذ تختلف من قطر إلى آخر ، ومن زمن إلى زمن ، ومن بيئة إلى بيئة ، فدولة عدد سكانها مائة مليون ، طريقة العمل تختلف فيها عن دولة عدد سكانها مليون ، هناك أشياء مشتركة ولكن هناك ظروفاً مختلفة ، إن هذه قضية يجب أن نعالجها بمنتهى الحكمة .

إن بعض العاملين للإسلام يصلون بحكم تجربتهم فى قطرهم إلى نتيجة قد تكون صحيحة وسليمة فى قطرهم ، ولكن ليس من الضرورى أن تكون صحيحة وسليمة فى قطر آخر ، وكثير من هؤلاء يحاولون تعميم ما توصلوا إليه على كل الأقطار الإسلامية ، ويهاجمون من خالفه ، وقد يجعلون ذلك الفيصل بينهم وبين الآخرين ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

فبعض الناس يهاجم السرية ، لأنه يستطيع أن يعمل جهراً ، ويطالب الحركات الإسلامية ألا تلجأ إلى السرية فى الوقت الذى تعنى الجهرية الموت فى بعض المناطق للأفراد والحركات ، وبعضهم يهاجم الجهرية ، لأن فيها تعريض الجماعة للخطر فى الوقت التى تعنى السرية الكاملة الموت للإسلام والمسلمين . وبعض الحركات لا تسمح لها ظروفها فى المشاركة فى الحياة الانتخابية أو لا يوجد فى بلادها حياة انتخابية ، فيهاجمون كل مشاركة فى عملية انتخاب تجرى فى أى جانب من العالم الإسلامى .

والذى نقوله بشكل قاطع : إن مثل هذه التعميمات لا تصلح ، فالشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأهل مكة أدرى بشعابها ، والفتوى تقدر زماناً ومكاناً وشخصاً ، إن الحركة الإسلامية فى كل قطر لا بد أن يكون لها مجلس شوراها ، ولابد أن يكون أفراد مجلس الشورى على مستوى رفيع من العلم والعمل والتقوى والورع ، وإن مجلس الشورى فى القطر هو مرجع الأمور فيه ، إلا إذا كان هناك مجلس شورى عالمى تخضع له مجالس الشورى المحلية ، عندئذ لا يصح أن يتخذ مجلس شورى القطر قراراً يخالف مجلس الشورى العالمى أو الأعلى ، وما عدا هذا فإن مجلس شورى القطر يناقش أمور القطر ، فإذا قرر المشاركة فى انتخابات فهو أدرى ببلاده ووضعه مع ملاحظة القيود السابقة ، وإذا قرر المشاركة فى وزارة فهو أدرى بوضعه وبلاده . على أن نلاحظ قضية هامة فى سير الحركة الإسلامية :

لقد تعامل علماء المسلمين مع الواقع فى ظروفه الاستثنائية ، وأفتوا على ضوء ذلك ، ولم تكن إمكاناتهم لتسع تطوير هذه الأوضاع ، أما الحركة الإسلامية المعاصرة فهى تحاول أن تتحرك حركة يومية على ضوء الواقع ملاحظة الأحكام الأصلية والأحكام الاستثنائية وملاحظة الرخصة والعزيمة . ولكن فى الطريق الموصل إلى الاحكام الأصلية ، هذه الميزة الهامة للحركة الإسلامية المعاصرة لايصح أن تغفل عنها .

الدرس الحادى عشر
فى الوسائل

كنا تحدثنا فى كتابنا (فى آفاق التعاليم) عن الأهداف وعن بعض وسائلنا لتحقيق الأهداف ، ولما كان مثل هذا الكتاب فى موضوعه لا يصح أن يخلو عن حديث عن الوسائل فإننا نتكلم باختصار عن ذلك فنقول :

إن قضية الوسائل كقضية الأهداف فى صعوبة الإحاطة بها أو تعذرها ، فما من قضية فى الإسلام ينبغى تحقيقها إلا ولها وسيلتها أو وسائلها الإسلامية ، فتزكية النفس هدف وله وسائله ، والتقوى هدف لها وسيلتها ، والشكر هدف له وسيلته ، وإعلاء كلمة الله هدف له وسيلته ، وهناك أهداف مرحلية لها وسائلها ، وفى النظام الاقتصادى أهداف إسلامية ، ولتحقيق ذلك وسائله ، وهكذا فالأمر أوسع من أن يحاط به . إن نشر الدعوة الإسلامية هدف وله وسائله ، والذين استجابوا لدعوة الله تربيتهم وتعليمهم هدف له وسائله ، والنقلة من حال إلى حال هدف له وسائله ، وضم هؤلاء إلى صف واحد هدف وله وسائله .

وكل هدف يحتاج إلى وسائله المكافئة والمناسبة ، وعندما نقول المكافئة والمناسبة فهذا موضوع له أبعاده الكبيرة . وإذا كان من أهداف الجماعة الوصول إلى إقامة الحكم بالإسلام ، فما هى مجموع الوسائل المكافئة والمناسبة لهذا الأمر . وهكذا قل فى كل شأن . ولا شك أن هذا غير هذا ، فقد يكون مجموع الوسائل التى يمكن اعتمادها مائة وسيلة ، ولكننا فى بعض الأقطار أو بعض الأوضاع قد نستبعد بعض الوسائل ، أو نعتمد وسائل جديدة تفرضها علينا ظروف جديدة .

يذكر الأستاذ البنا أننا نحن الإخوان المسلمين لنا وسائل عامة ، ووسائل إضافية ، ووسائل مشتركة بيننا وبين غيرنا ، ووسائل بحكم أننا حركة تجديدية .

والوسائل الإضافية منها السلبي ، ومنها الإيجابي ، ومنها ما يتفق وعرف الناس ، ومنها ما يخرج عن هذا العرف ويخالفه ويناقضه ، ومنها ما فيه لين ، ومنها ما فيه شدة . ومن الوسائل المشتركة بيننا وبين غيرنا : الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات ، وتشخيص الداء ووصف الدواء ، وبناء المساجد وعمارتها ، وفتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها ، وإنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها ، والاحتفالات بالذكريات الإسلامية احتفالا يليق بجلالها وعظمتها ، والإصلاح بين الناس ، والتوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين ، وتنظيم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع في المواسم والأعياد . وأما وسائلنا العامة فالإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل .

وأما وسيلتنا كجماعة تجديدية فهي الفكرة والعقيدة التي نقذف بها في نفوس الناس ، فيتربى عليها الرأي العام ، وتؤمن بها القلوب ، وتجتمع من حولها الأرواح .

تلك هي مبادئ العمل الإسلامي والعمل في نواحي الحياة . وخلاصة ذلك جملتان : (إيمان) و (عمل ومحبة وإخاء) .

هذا بعض ما ذكره الأستاذ البنا عن الوسائل ، ومما ذكره لتحقيق التعريف بالإسلام والدعوة إليه والتكوين : إقامة نظام الحلقات العامة والحلقات الخاصة والأسر وكتائب التربية الإسلامية الكاملة وفرق الدعوة إلى الله ؛ والأصل في قضية الحلقات ما ذكره الأستاذ البنا في واجبات الأخ العامل ، وحضور مجالس القرآن الأسبوعية والدائرة ، والأصل في قضية الفرق قول الأستاذ البنا كذلك في ذكر واجبات الأخ العامل : (والانضمام إلى فرقة الرحلات ما دامت سنه تسمح بذلك) . وقضية الأسر أشهر من أن تذكر ، وللأستاذ البنا رسالة خاصة فيها . وقضية الكتيبة كذلك واضحة ، يقول الأستاذ : (وفي الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان ثلاثمائة كتيبة) . وهذه القضايا كتب فيها الكثير .

ومن الوسائل المعتمدة في العمل : الدرس العام ، الدرس الخاص ،

الأسرة ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فرق الدعوة ، الجهاد بأنواعه ، التعليم والتنظيم ، النصيحة ، التربية فى المدارس والمعاهد ، مراسلة الحكام ومناصحتهم ، التفاهم مع الهيئات الإسلامية الذى يوصلنا إلى فكرة الجبهة الإسلامية الواحدة ، وهذه كلها وسائل مجلها الأستاذ البنا .

وخلال التاريخ الطويل للأمة الإسلامية ومسيرتها اعتمد المسلمون وسائل كثيرة لتحقيق كثير من الأهداف ، وهذه الوسائل منها ما ينسجم مع الإسلام ، ومنها ما لا ينسجم ، ومنها ما أملته الضرورة ، ومنها ما كان وليد الحركة الصحيحة . ولعل من المناسب أن توجد دراسات مستوعبة لمجموع الوسائل التى استعملها المسلمون خلال العصور فى حركتهم . وهناك سؤال يحتاج إلى جواب :

هل الغاية تبرر الوسيلة أم لا ؟ ونقول : غلب على الناس فهم خاطىء هو :

أن الأخلاقيين لاتبرر الغاية عندهم الوسيلة . وغير هؤلاء تبرر الغاية عندهم الوسيلة ... وهذا وهذا خطأ ، فليست كل وسيلة مقبولة من أجل غاية ، وليست كل غاية مقبولة أصلا . وفى دعوتنا الغاية الإسلامية تحتاج إلى وسيلتها الإسلامية ، ويجب أن تكون الغاية حقاً والوسيلة حقاً ، فإذا اتضح هذا فإن هناك حالات فى الإسلام بررت الغاية فيها الواسطة ، فمثلا الكذب فى الإسلام مذموم ، ولكن إذا تعين الكذب للتخلص من ظالم أو لحماية مظلوم يصبح الكذب فى هذه الحالة واجباً ، على أن الفتوى هى التى تحدد ما يجوز وما لا يجوز ، سواء فى ذلك قضية الغايات أو قضية الوسائل .

نقول هذا لتبيان أنه من الخطأ الكبير أن تأسرنا اصطلاحات الآخرين ، أو تقيدنا تصوراتهم ، فنحن مسلمون ، أهدافنا إسلامية ، وغاياتنا إسلامية ووسائلنا إسلامية ، فحيثما أجاز لنا الإسلام أن نتحرك تحركنا ، ولو كانت حركتنا غير مقبولة عند آخرين . وحيثما حظر علينا الإسلام أن نفعل فلن نفعل ولو كان هذا الفعل يقربنا إلى آخرين .

الدرس الثانى عشر

فى الشورى

الشورى فى حزب الله سمة أصلية وصفة لازمة ، بدونها يفقد حزب الله أصالته كما لو فقد الصلاة ، فالله عز وجل يقول : « فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون. وجزاء سيئة سيئة مثلها. فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إنه لا يحب الظالمين » .

فالشورى كما هو واضح فى الآية من سمات المؤمنين الأصلية ، ولا يمكن أن يوجد نص أبلغ فى تعميم الشورى كالنص السابق . إذ الآية تذكر أن أمر المؤمنين شورى بين المؤمنين ، فكل قضية تهم المؤمنين تحل بالشورى بين المؤمنين ، فلم يعد هناك نص أبلغ فى تقرير الشورى وتعميمها من هذا النص ، ولذلك كان أكثر الناس استشارة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أن عمر كان يبالغ فى الاستشارة لدرجة أنه كان يستشير النساء فى خلورهن، ويستشير الشباب يبتغى حدة عقولهم. فكان ذلك من أدب الإمرة أن يبالغ الأمير فى الاستشارة .

وإذا كانت المبالغة فى الاستشارة أدباً فإن هناك تقليداً كان يمشى عليه عمر . هذا التقليد هو جعل الشورى حقاً لأهلها ، يظهر ذلك من هذين المثالين :

١ – كان أصحاب مجلس عمر هم القراء (أى العلماء) شيوخاً كانوا أو شباباً.

٢ – يوم سافر إلى الشام وسمع بالطاعون استشار خيار الأنصار فاختلفوا ، وخيار المهاجرين ، فاختلفوا ، ثم جمع مشيخة الفتح فاستشارهم ، فأجمعوا على العودة ، فرجع .

وقال مرة لأعرابى اعترض عليه فى أمر وافقه عليه الناس : (اجلس إنما أنت من الأعراب) إشارة إلى أن الشورى حق لأهلها ممن توافرت فيهم صفاتها .

من كل ذلك نفهم أن الشورى كحق إنما تعطى لأصحابها ممن توافرت فيهم أهلية خاصة ، فإذا ما توافرت هذه الأهلية فإن رأى الأكثرية – باجتهادنا – ملزم . قال عليه الصلاة والسلام : (عليكم بالسواد الأعظم) . وفسر عليه الصلاة والسلام العزم فى قوله تعالى : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » أنه (مشاورة أهل الرأى واتباعهم) . يراجع تفسير ابن كثير .

ونزل عليه الصلاة والسلام يوم أحد على رأى الأكثرية ، ولما طعن عمر واختار أهل الشورى ممن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض جعل للأكثرية الحكم ، وأمر بقتل المخالفين إذا أصروا على الخلاف . من هذا كله نفهم أن الشورى ملزمة ، وأن رأى الأكثرية ملزم للأقلية ، سواء فى عملية اختيار الأمير ، أو فى قضية يستشير فيها الأمير ، وذلك بعد أن تعطى الشورى لأهلها كما ذكرنا . . . .

وهذا هو التقليد الذى تمشى عليه حركتنا من لحظة إنشائها . أن تعطى الشورى لأهلها والأكثرية هى الحكم فى أى قضية من القضايا فيما لا نص فيه . وهذا النظام الأساسى الذى صدر فى مصر سنة ١٩٤٨ فى آخر حياة الأستاذ البنا ، شاهد على ما نقول .

نفهم من هذا أنه ليس لمن اختير للإمرة أن يخرج على رأى الأكثرية ، وهو أمر بدهى فى تركيب الجماعة ــ ومن بدهيات الإسلام . قد يطول النقاش وقد يقصر بين أهل الشورى والأمير ، ولكن القرار فى النهاية للأكثرية .

والذين يحتجون بحادثة أبى بكر يوم الردة على أنه لاعبرة برأى الأكثرية ، وأن الشورى معلمة للأمير وليست ملزمة ، هم مخطئون ، فإن أبا بكر لم يبال برأى الأكثرية لوجود النص : (أمرت أن أقاتل الناس .. ويؤتوا الزكاة) . ثم لم يكد أبو بكر يناقش الناس حتى اقتنعوا .

إنه لا توجد حادثة واحدة فى تاريخ الخلافة الراشدة ضرب فيها برأى الأكثرية عرض الحائط . نعم قد تكون الأكثرية على رأى ثم يقول بعضهم رأياً آخر ، فيقتنع الجميع ومنهم أمير المؤمنين فيصار إليه ، لا لأنه خلاف رأى الأكثرية ، بل لأن الأكثرية اقتنعت به أخيراً .

وليس هذا هو الديمقراطية الغربية ، فالديمقراطية الغربية تعطى للأكثرية الحق المطلق فى التحليل والتحريم وغير ذلك ، أما عندنا فلا قيمة لرأى الناس كلهم إذا خالف نصاً .

فالشورى عندنا فيما ليس فيه نص وفى الوقائع اليومية للمسلمين وأمثال ذلك ، فهى عادى أن يكون رأى الأكثرية مما هو من شؤون حزب الله ، ومما تجرى الشورى فيه على قواعد حزب الله ملزماً ، وهذا شىء لا بد منه لأمور :

١ ــ ما دامت نتائج القرار ستصيب عامة حزب الله فشىء عادى أن يكون لأكثرية أهل رأى حق اتخاذه .

٢ ــ ما دام اختيار الأمير يعود إلى أكثرية أهل الحل والعقد فى حزب الله فشىء عادى أن يكون غير ذلك من اختصاص أكثريتهم .

٣ ـ إن جسم حزب الله لا يبق متماسكاً وقوياً وعلى انسجام مع قيادته دون هذا .

إن الذين يذهبون إلى أن الشورى معلمة لا ملزمة لا يبالون بما يترتب على كلامهم من نتائج غير عملية . عدا عن كون كلامهم لا تسنده النصوص ، فما يدعى أحد أن خليفة راشداً استشار أهل الحل والعقد ثم ضرب برأى الأكثرية العاملة الناصحة عرض الحائط . إن الأمة الإسلامية لا يستقيم أمرها إذا ما أعطت لفرد منها حق التصرف المطلق .

إننا نرى أن طرح فكرة كون الشورى معلمة لا ملزمة فى عصرنا شيء غريب ، والأغرب منه أن يقوم على أساس هذه الفكرة تنظيم ، لأن أى تنظيم يقوم على أساس هذه الفكرة لن يكون مآل أتباعه إلا الانقسام ثم الانقسام .

لأن الأمير ليس بيده سلطة يستطيع بها إجبار الناس على الجماعة . إن الجماعة قبل السلطة لا تجمعها السلطة وقهرها وإنما يجمعها تراضى أفرادها على العمل ، فإذا كان أميرها يضرب برأيها عرض الحائط ، فعندئذ لا يمكن أن تسير الجماعة ولا أن تستمر ولا أن تنمو . إن علينا معشر المسلمين أن نوجد الصيغة الملائمة للشورى المحلية والشورى القطرية والشورى العالمية ، من أجل أن تكون دولتنا المقبلة بإذن الله دولة لها كل مقومات النجاح .

وبدون هـذا فإننا لا ندرى كيف ستكون دولتنا ، وكيف يستطيع أميرنا أن يدير العالم الإسلامى من المحيط إلى المحيط ، بل العالم كله فى يوم من الأيام .

إن الذين يرون أن الشورى فى عصرنا معلمة لا ملزمة إنما يتحدثون عن الأمة الإسلامية كما لو كانوا يتحدثون عن عشيرة صغيرة جاهلة على رأسها عبقرى عظيم .

إن علينا أن تعطى حق الشورى لأهلها ، وإذا أعطيناها لأهلها فلا ينبغى أن نخرج عن قناعتهم ومشورتهم ، أو رأى أكثريتهم ، بعد الأخذ والرد والنقاش والإقناع .

والأمير ينبغى أن يكون قادراً على إقناع الأكثرية إن كانت وجهة نظره صالحة ، ولا تختلف الأكثرية الصالحة على الرأى الصالح مادام قد أحسن اختيارها وتربيتها .

والملاحظ أن الأستاذ المودودى وغيره رجع إلى فكرة إلزامية الشورى للأمير بعد أن كان يتجه اتجاهاً آخر . وقد يكون من المناسب فى سيرنا الشورى أن نعتمد من القواعد ما نصل فيه إلى الرأى الأقوى فى النهاية باعتمادنا مبدأ إعطاء الحق للأمير على كل مستوى إذا اختلف مع مجلس قيادته على أمر أن يحيله إما إلى قيادة أعلى أو إلى صف أوسع .

إن المسلمين لا يصلحهم إلا الشورى ، ولا يستطيعون أن ينطلقوا إلا بالشورى ، ونحن جماعة لا يصلحها إلا الشورى ، ولا يمكن أن تقوم إلا بالشورى ،ومتى أخفقت فى تحقيق الشورى عملياً فإنها تخرج عن أن تكون جماعة المسلمين ، ولم تعد مرشحة للسير فى هذه الأمة نحو استئناف سيرها الراشد ، بالشورى نتفق على القاعدة التى نحتكم إليها ، وبالشورى تلغى هذه القاعدة لنتفق على قاعدة جديدة إذا تبين خطأ الأولى ، بالشورى نحل مشاكلنا ، وبالشورى نتفق على السير ، وبالشورى نتخذ القرار ، وما من أحد يستطيع فى هذا العالم ، وما ينبغى لأحد أن يسير بالجماعة بلا شورى ، ومن ثم كان لابد لنا أن تكون لنا نظريتنا فى الشورى :

(أ) إن الشورى داخل الجماعة ينبغى أن تعطى لأهلها ، وإذا أعطيت لأهلها فرأى الأغلبية ملزم ، إلا إذا شاءت الأقلية أن تحتكم لسلطة أعلى أو لسلطة موسعة أدنى من حقها أن تستشار ، وسواء كان هذا أو هذا فإنه يبقى للأكثرية حق اتخاذ القرار .

(ب) من كلام الأستاذ البنا رحمه الله يفهم أن الأخ العامل أو الأخ المجاهد واجبه ... الطاعة الكاملة ، وإذن فمن حيث المبدأ ، حتى حق الشورى يكون لمن هو فوق الأخ المجاهد ، وهو فى اصطلاح الأستاذ البنا رحمه الله النقيب أو الأخ النائب فما فوق .

(جـ) إلا أنه من حق القيادة أن تعمم دائرة الشورى ، فإذا عممتها على دائرة فهذا يعنى أن هذه الدائرة حق اتخاذ القرار بأكثريتها ، كما لو شاءت القيادة أن تعمم دائرة الشورى فى قضية ما على الإخوة العاملين ، ويمكن أن يستأنس لذلك بما حدث يوم أحد .

(د) إلا أن كل قضية بتت بها سلطة أعلى فى الجماعة لا يعود للسلطة الأدنى حق طرحها على الشورى ، ولكن يبقى لها حق لفت النظر للآثار السلبية أو حق المناقشة ، ويمكن أن يستأنس لمثل ذلك بما فعله عمر رضى الله عنه يوم أن أقطع أبو بكر بعضهم إقطاعاً ، فمزق عمر الورقة وجاء مناقشاً لأبى بكر .

(هـ) الشورى ينبغى أن تبقى ضمن دائرة القواعد المتفق عليها حتى تلغى القاعدة أو تعدل ، فإذا كان هناك قواعد متفق عليها بين قطر ومجموعة الأقطار ، أو بين المراكز فى القطر الواحد ، أو بين الشعب وقيادة المركز ، فهذه تبقى هى الحاكم حتى تلغى ، ويمكن أن يستأنس لذلك بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حيث طرح الشورى وكرر طرحها ليستخرج رأى الأنصار مخافة أن يكونوا فاهمين من الاتفاق الأول يوم العقبة أنهم ملزمون بحماية رسول الله أو نصرته إذا هوجم داخل المدينة فقط ، فلما أشاروا عليه بالقتال قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال .

إننا جماعة تنطلق من وضع مريض للأمة الإسلامية لتصل فى هذه الأمة إلى دولتها العالمية بإذن الله ، وجماعة هذا شأنها لابد لها أن تتوصل قواعد فى

فى السير تنبثق عن الشورى . ولا بد أن تحقق بقضية الشورى ، كيف والله عز وجل جعل الشورى من سمات الجماعة المسلمة ، وذكرها بين الصلاة والزكاة .

إن السير فى المسلمين بعقلية دكتاتورية أو بعقلية عشائرية يكاد يكون خطأ لا يحتمله عصرنا أبداً ، فإذا اتضحت أهمية الشورى فى سيرنا وكيان جماعتنا وأهمية القواعد التى تحدد كيفية الشورى ، فإن علينا أن نوضح فى الجماعة المسلمة إذ أنه بدون طاعة فلا جماعة . ومن ثم يوجد ربط دائم بين الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة ، كما ورد فى الحديث : (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ....) وعلينا أن نوفق بين الطاعة وبين الشورى إن كثيرين لا يعرفون إلا الأمر ولا يطالبون إلا بالطاعة وينسون حق المسلمين فى الشورى . إن كثيرين بحكم أنهم اختيروا للإمرة يطالبون بالطاعة ولا يعرفون حق الغير فى الشورى، أمثال هؤلاء لا يفلحون أبداً فى قيادة الأمة الإسلامية ، ولا يفلحون فى أى إدارة داخل هذه الأمة ، فضلا عن أن يفلحوا فى قيادة إخوان مسلمين يقوم تركيبهم العام على الأخلاق الإسلامية غير المتكلفة أو المتعسفة .

إلى أمثال هذا النوع من الناس نقول إنكم لن تصادفوا فى سيركم هذا إلا نتيجة واحدة هى أن ينوى كل من معكم مفارقتكم . فإذا كان فقهاء الشافعية أجازوا للإنسان أن ينوى مفارقة إمامه فى الصلاة فى أحوال متعددة ... أترون أن المسلم سيصبر على إمرة متعسفة متكلفة فترة طويلة دون أن ينوى المفارقة ثم هل يصبر على إمرة تعطل الشورى أصلا . إن مثل هذا التفكير خاطىء أصلا . فإذا كان لا بد من شورى ولا بد من طاعة، فكيف يكون التوفيق إذاً . نقول : إن الأمير عندما يطيع الشورى داخل الجماعة يحدث تلقائياً أن يطيعه كل فرد منها. إن الطاعة وقتذاك داخل الجماعة تكون للشورى. ومما يدخل فى ذلك الطاعة للقيادة المنبثقة عن الشورى ، والخاضعة للشورى ولقواعدها المنبثقة عن الشورى نفسها . بهذا وحده يتم التوفيق بين قضية

الشورى وقضية الطاعة ، فالشورى تخضع لها القيادة والصف يخضع للقيادة وهي تنفذ القرار الشورى . وهذا كله في غير ما ليس من باب الحكم الشرعي، فهذا النوع له آدابه المعروفة في ديننا ودعوتنا ، على أنه ينبغي أن يكون واضحاً أن صف المجاهدين والعاملين عليه واجب الطاعة فقط – إن التنفيذ يحتاج إلى طاعة إلا إذا تحقق ضررها كما نص فقهاء الحنفية إذ قالوا بأن طاعة أمير الجند واجبة إلا إذا رأى الأكثر أن فيه ضرراً فيتبع رأى الأكثرية .

المهم أنه لا بد للجماعة أن توفق بين طاعة مبصرة مطلقة وبين شورى لا تتخلى عنها ولا تتنازل ، ولا يجوز في دين الله أن تعطل ، وإذا لم تنجح الجماعة بمثل هذا كله ؛ فليس أمامها إلا الفشل الذريع في البناء .

الدرس الثالث عشر

فى القيادات وقضية اختيارها وتكوينها

ذكر البخارى فى أثر طويل عن ابن عباس (فقال عبد الرحمن بن عوف لابن عباس لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين فقال: هل لك فى فلان يقول: لو مات عمر لبايعت فلاناً ، فوالله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة . فغضب عمر ثم قال : إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس فحذرهم هؤلاء الناس الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم) .

لاحظ كلمة : إن يغصبوهم أمرهم . فالأصل فى الإمرة أن تكون عن شورى ، والأصل أن لا يتأمر أحد على المسلمين إلا برضاهم وعن مشورتهم، يؤكد هذا ما ورد فى رواية ابن عباس عن عمر فى نهاية خطبة له فى المدينة بعد ذلك إذ يقول : (فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو والذى بايعه تغرة أن يقتلا) .

إنه لا يجوز بشكل من الأشكال أن يسلب أعضاء حزب الله الكاملون حرية اختيار أميرهم على كل مستوى ، ولا يعجز أعضاؤه فى كل مكان ــ قلوا أو كثروا ــ أن يختاروا واحداً منهم لإمرتهم ، لأن هذا هو الطريق السليم لبقاء الصف متراصاً ولإطلاق الطاقات فى طريقها ، والضمان أن لا يؤم إنسان إخوانه وهم لإمامته كارهون ، ولكن على أعضاء حزب الله أن يلاحظوا قضية مهمة أثناء اختيار القيادات هى اختيار الأكفأ والأكثر قبولا وعلماً وعملا ، وملاحظة السبق والقدم شىء مهم فى النظام الداخلى ليبقى المجال مفتوحاً أمام النبوغ كى يتقدم ، ولكن هذه حالات نادرة .

إنه عندما يقدم للإمرة الأقل تجربة فإن الجماعة ستصل إلى إرباك أمورها واختلال مقاييسها وموازينها . وعندما يتقدم الأصغر قد يترتب على ذلك فى

بعض الأحوال احتقار الأكبر دون أن ينال الأصغر احتراماً ، مما يؤدي إلى احتقار الجماعة ككل . وللسابق فضله في الإسلام « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » . واحترام السابق أساسي « والذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » . ومراعاة قبول القائد في قلوب الناس يجعلنا أكثر قدرة على الاتصال والعمل . ومراعاة العلم والتطبيق أدعى إلى الاستقامة وأبعد عن الملامة »

هذا ما له علاقة في اختيار القيادات داخل حزب الله ، ولكن هناك شيء آخر وهو صناعة القيادات المؤهلة لقيادة المسلمين والتي هي أهم جوانب عمل حزب الله . وهذا الذي سنتكلم عنه فيما يلي :

لأكثر من أمر قص علينا قصة آدم عليه السلام ، ومما نلاحظ في قصة آدم عليه السلام أن الله لم يأمر الملائكة بالسجود له حتى أعلمهم وأشعرهم بميزته : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر .... » .

ويلاحظ من الحادثة التي تروى في مقدمة تفسير السورة أنه عندما استقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداً عما عند كل منهم من القرآن أنه أمّر من عنده سورة البقرة لأنه سبقهم بها وامتاز عليهم فيها .

فالأصل في القيادة أن تعطى لأهلها ، وأهلها من ملك خصائص معينة وصفات أهلته لها ، إن الناس في العادة لا يسلمون قيادهم باختيارهم إلا لإنسان يحسون أن له ميزة عليهم فيما ينبغي أن يقودهم به . وملاك ذلك في العلم بأوسع ما تطلق عليه الكلمة ، العلم بالسياسة، العلم بالحرب وفنه وتاريخه وطرقه وتكتيكه ومتطلباته للقيادة العسكرية . وهكذا في كل شيء .

ولا شك أن هناك شروطاً أخرى لكل نوع من أنواع القيادة ، ولكن هذا هو الشرط الرئيسى ، وقد نجحت الأمم الكافرة فى عصرنا فى إيجاد المحاضن التى تخرج أصنافاً من القياديين ذوى المؤهلات العالية لكل جانب من جوانب الحياة .

فالقيادة السياسية لها محاضنها – مدارس خاصة – وأحزاب . . . والقيادات العسكرية لها مدارسها الخاصة وطرق بروزها وإظهارها وإخراجها وقل مثل ذلك فى بقية جوانب الحياة ، يساعد هذه المؤسسات محافل ونواد وأجهزة خاصة وطرق عملية ليأخذ كل فرد محله المناسب فى خدمة شعبه ووطنه أو عقيدته ، ونحن كمسلمين القيادة عندنا شىء يختلف فى كثير من الجوانب عما هو عندهم ، وإن كانت هناك أمور مشتركة لا بد منها عندنا وعندهم ، وعلينا أن نعترف أن القيادات المسلمة الرشيدة لم يستطع المسلمون إيجادها إلا قليلا . وإذا بالغنا قلنا إنها لم تظهر على تمامها وكمالها إلا فى الجيل القيادى الذى رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى كان منه القيادات العظيمة التى ساست الدنيا بالإسلام بأهون مما يسوس الإنسان بيته ، كما أن علينا أن نعترف ونقر أن الكافرين نجحوا فى إيجاد محاضن تخرج القيادات الفعلية (النوادى – المدارس – المحافل الماسونية) . ونادراً ما استطاع محضن إسلامى أن يوجد جيلا قادراً على القيادة بمستوياتها المتعددة . ولا شك أن هذا فشل كبير ، فأنت لا تستطيع أن تقود الأمة بعناصر هزيلة أو ضعيفة أو جاهلة أو عاجزة أو محدودة الأفق ، والأمة لا تسلم قيادها لأمثال هؤلاء ، لذلك لابد من طريق يختار فيها أجود العناصر هذه الأمة وتنمى فيها ملكاتها ، وطاقاتها المختلفة ، لتكون مرشحة لقيادة هذه الأمة . وعلى قدر نجاحنا فى إيجاد طبقة متفوقة قادرة يحس الرجل العادى بتفوقها وكونها أهلا للثقة ، وعلى قدر ما تحسن هذه الطبقة العمل الخالص لوجه الله نكون قد سرنا فى طريق النجاح .

وقد مرت فترة يكاد يجمع كلام الدارسين لأوضاع الحركات الإسلامية المعاصرة فيها ، على أن هذه الحركات لم تستطع تأمين الملاك القيادى لتغطى عملها . ولم تستطع أن ترفع الكثير إلى المستوى القيادى الرفيع . مما يجعل الحركة الإسلامية فى كثير من الأحيان تؤتى من قبل نفسها ، فهل يستطيع حزب الله أن يحل هذه المشكلة . نرجو أن يكون الجواب إيجابياً .

إن على حزب الله أن يبذل أكبر جهوده من أجل إخراج قيادات عظيمة للمسلمين ، وهذا لا يكون إلا بالتعاون بين القيادة والأفراد . إن المهمة الأولى للجماعة هي إخراج الصف القيادى للمسلمين بالتربية والتعليم والتثقيف ، ولكن أن يربى الأخ ليكون صالحاً للقيادة والإمامة شيء وأن يرى الأخ أن من حقه أن يقود شيء آخر ، فالأول واجب والثانى مرض . نسأل الله أن يطهر قلوبنا من كل مرض .

الدرس الرابع عشر
فى التوفيقات الصعبة

إن من أصعب ما يواجه الدعوة فى عصرنا أنها تحتاج إلى التوفيق بين مجموعة أمور كلها صعب فى ظروفنا التى نمر بها، ولكنها توفيقات لا بد منها ...

من هذه التوفيقات التى لا بد منها :

(١) الثقة والأمن :

الثقة فى القيادة تكاد تكون تسعين بالمائة مما يحتاجه العمل السياسى أو العمل الدينى أو العمل العام بشكل عام. ونحن حركة تحركها يسع الحياة كلها . لأن الإسلام هذا شأنه وأكثر ، ومن ثم فلا بد أن تكون الثقة على أعلاها فى القيادات ثم فى الصف كله . غير أن الثقة لا تأتى من خلال طلب يقدمه الصف إلى الأمة ، أو تقدمه القيادة إلى الصف ، وإنما هى وليدة أمور كثيرة تتولد منها الثقة سارية من الأعلى إلى الأدنى إلى الأمة عامة من خلال الوعى والاستيعاب والصبر والدأب والعمل وبعد النظر والأناة والحلم والقدرة على التحليل والتعليل : إن الأخ العادى عندما يتصل بالأخ القيادى أدنى اتصال فيخرج وهو ملء الثقة ، لأن أخاه ينصت حتى يستوعب ، ويناقش حتى يقنع ويهتم حتى لا يفرط ، وهو فى أمره كله على السنة . إن هذا وأمثاله هو الذى يجعل الثقة تنشر فى الصف كله . أما التصرفات العابثة والهوجاء ، وأما الأقوال غير الموزونة وغير المتأنية ، وأما التفلت من شرع الله وحكمه ، فذلك فيه التهديد للثقة التى هى شرط لا بد منه لكل خطوة وفى كل خطوة . فى كثير من الأحيان تتخذ الجماعة قراراً ما بناء على مجموعة أمور أو مجموعة معلومات متوفرة لديها . وفى كثير من الأحيان لا تستطيع أن تقول لكل أخ حيثيات هذا القرار ، إما لمانع شرعى ، أو لمانع أمنى ، فلما لم تكن الثقة

على أعلاها بين الصف والقيادة يستحيل أن تمشى الأمور ، وفى كثير من الأحيان لا يثق الأخ حتى يعرف ، وإذا عرف فإن ذلك يكون على حساب الأمن . وفى مثل هذا وغيره تظهر حكمة القيادة فى تصرفاتها وذروة الحكمة تظهر عندما تستطيع القيادة دائماً أن تحتفظ بأكبر قدر من الثقة دون أن تفرط بمقتضيات أمنها ، وهذا لا يكون إلا إذا استطاعت القيادة أن تكسب الثقة بتصرفاتها من خلال التعامل الحكيم المستمر المعلل حتى إذا اضطرت لأمر لا تعلل له يكون الصف جاهزاً للتلقى ، مع بقاء الثقة على كمالها ، مع دفاع الصف عن القيادة بناء على ما عرف عنها من دراسة متأنية وشورى ملزمة ، وبعد نظر ، ولعل فى موقف أبى بكر رضى الله عنه يوم الحديبية ما يوضح المراد فى هذا المقام .

(ب) الإقناع والكتمان :

ما لم يكن الكتمان خلق الفرد فى الجماعة وخلق الجماعة كلها ، وما لم تكن القاعدة لكل من المعلومات بالقدر الذى تحتاجه مهمته فقط وعليه أن لا يفرط فى ذرة من المعلومات أمام أحد إلا بأمر الصف وحده ؛ ما لم تكن المسألة كذلك فالجماعة ستقع دائماً فى مطبات الخطر ويستحيل مع ذلك أن تحقق الجماعة أهدافها ، إن هناك تداخلا رهيباً فى أجهزة التجسس العالمية وغلطة واحدة يغلطها المسلم فى الداخل أو الخارج تسبب كارثة رهيبة . وفى كثير من الأحيان تدعو المسلم نفسه وهو يدعو إلى الله لأن يتكلم بأكثر مما ينبغى ، فى سبيل الإقناع يساق إلى قول يتنافى مع كتمان ما يجب كتمانه ، وأحياناً يفعل ذلك بدافع الدفاع عن النفس أو الجماعة فيفضح سراً ، ولا شك أن التربية الراقية لكل أخ هى الحل الوحيد . التربية التى يعرف الأخ تأثير الكلمة على أمن الجماعة وخطورة كلمته أصلا ، التربية التى لا يفرط فيها الأخ بأمانة كتمان السر ، ويعرف خطورة الخيانة إن فعل ذلك ، وعلى الأخ أن يعرف أن الطريق إلى ما يريد ليس هو ما ظن . إن التفريط بسر أمام الناس بغرض كسب ثقتهم هو تهديم للثقة فى أنفسهم ، إذ عندما يرون أسرارك

مشاعة لهم فإن ذلك يكون حجة لهم عليك ، إنهم لا يستطيعون الثقة بأن ما يتفقون به معك سيبقى سراً . وعلى الأخ أن يعرف الطريق الصحيح للإقناع وإنه التفاعل مع الإسلام لا غير ، ومعرفة أحكام الإسلام والانقياد لها لا غير ، ثم يكون السير فى الجماعة ومن خلاله ، فيعرف الأخ الحدود التى ينبغى أن يعرفها ، أما الفوضى الضاربة أطنابها ، أما الكلمة غير المسؤولة ، أو الرغبة الساذجة فى إظهار الذات بمظهر العارفة ببواطن الأمور ، أما التبجح الكاذب والدعاوى العريضة ، أما الصلات الشخصية التى بها يقال ما لا يجوز أن يقال ، فهذا كله يجب استئصاله : إن الإقناع يجب ألا يكون على حساب الكتمان ، كما أن الثقة داخل الجماعة لا يصح أن تكون على حساب أمن الجماعة .

• • •

ذكرنا فى هذا الدرس نموذجية على التوفيقات الصعبة ، وفى دروس أخرى سنرى نماذج أخرى ، كيف نجمع بين السرية أحياناً وبين انبثاق القيادات عن الصف . وكيف نجمع بين الشورية والسرية . وكيف نجمع بين انتخاب القيادات وبين كفاءتها : وبين تجدد القيادات واستمرارية الأصالة . كل ذلك توفيقات صعبة لا بد منها ، وعلى العقل الإسلامى أن يعمل دائماً لإيجاد الحلول .

الدرس الخامس عشر

فى القيادة المنتخبة والأمن، والقيادة المتجددة والأصالة

كثير من الحركات تنشأ بنشأة رجال، وتموت بموت هؤلاء الرجال، وفيما بين ذلك تضعف أو تقوى، بحسب ضعف هؤلاء الرجال أو قوتهم أو نشاطهم أو كسلهم، ولكن الحركة الإسلامية والجماعة الإسلامية لا يصح أن يكون هذا شأنها، وكثير من الحركات يهمل أهلها القيام بواجباتهم نحوها أو تستغرقهم أعمالهم الخاصة فيهملونها، وكثير من الحركات قد ينحرف بعض أهلها عن مبادئها، فهل يصح شيء من هذا فى الدعوة الإسلامية ؟.
إن انبثاق القيادات فى الجماعات الإسلامية عن الصف ومحاسبة هذه القيادات من قبل الصف وتجديد الانتخابات كل فترة شيء لا بد منه للتصحيح أو لإزالة القيادات المهملة أو المنحرفة أو الضعيفة عن مواقعها لمن يحل محلها.
إن هذا عندما يجرى بمنتهى العفوية والبساطة يكون أداة استمرارية للحركة الإسلامية. إلا أن هذا يعكر أمن الجماعة، وقد يعرضها لشيء من الخطر فى بعض الصور، أو أن أصالة التأسيس قد تفقد بسبب استبعاد أصلاء فى التأسيس، وقد تقذف الانتخابات أحياناً بمن ليس كفؤاً أو بمن لا يملك أصالة معينة أو خبرة كافية، كل هذا ينبغى أن يلاحظ على قضية الانتخابات، ولكن هل الحركة الإسلامية بالخيار. قد يدخل الجماعة عناصر هى أكثر نبوغاً ممن هم أقدم منهم، وقد تعجز طبقة فى الجماعة عن أن تسير الأمور، وقد تعجز جماعة عن أن تستقطب المسلمين أو أن تنال ثقتهم، وقد تنشأ بين قيادة وبين الصف أو بين القيادات نفسها حساسيات خاصة يتعذر معها العمل: وقد لا ينسجم أهل المنطقة مع قيادة معينة، وقد كان عمر رضى الله عنه يعزل الأمير متى اشتكاه بعض رعاياه ولو كانوا ظالمين، كل هذه المعانى تجعل قضية الاعتماد على مبدأ انتخاب القيادة وتجديد انتخابها قضية لا بد منها، ومن

ثم لابد من وجود الصيغ التنظيمية الصحيحة التى تعتمد فكرة الانتخابات لانبثاق القيادة وتجديدها ، وبنفس الوقت أن يراعى فى هذه الصيغ قضية الأمن وقضية الأصالة والكفاءة وقضايا أخرى منا تقتضيه طبيعة العمل الإسلامى ، وهى توفيقات تستصعبها بعض العقول القاصرة فتستسلم لعجزها، إلا أن الحريصين على الكمال فى الحركة الإسلامية لا بد أن يوفقوا بين الصعاب لاستخلاص الوضع الأصلح ، ونحن نرى أن التوفيق بين هذه القضايا إنما يكون بمجموعة أمور ينبغى أن تلاحظ فى الأنظمة المرعية وفى التربية وهى :

١ – أن تعطى عملية انتخابات القيادات فى الأحوال العادية لصف الإخوة النقباء وفى الأحوال الاستثنائية للإخوة النواب .

٢ – تنفرد القيادات العليا للجماعة بإعطاء صفى النقيب والنائب لضمان الأمن وضمان الأصالة .

٣ – ينبغى تحديد الخصائص والمواصفات لإعطاء الصفة لتبقى الأصالة .

٤ – ينبغى وضع صيغ متعددة تطبق فى الحالات الاستثنائية بما يضمن أمن الجماعة مع بقاء فكرة الانتخاب .

٥ – كل ذلك يجب أن يتم دون أن يرشح أحد نفسه لمركز معين .

٦ – يجب أن يلاحظ فى هذا كله أن يكون المنتخبون يعرفون المرشحين معرفة كافية تؤهلهم ليقدموا الأكفاء عن خبرة ومعرفة .

٧ – ولضمان استمرارية العمل يمكن أن يتم تجديد انتخاب بعض الأعضاء للقيادات كل فترة حتى لا يتجدد الجهاز القيادى كله .

٨ – يمكن أن يتفق على الجهة التى من حقها أن ترشح طبقة بعينها ، فمثلا يمكن أن تستقل طبقة قيادات المراكز بالترشيح لمنصب أمير الجماعة

فى القطر . والمرشحون الثلاثة الأول هم الذين تطرح أسماؤهم على الانتخاب لطبقة أوسع أو أضيق .

هذه كلها نماذج لا نذكرها لنقيد أنفسنا بها وإنما نذكرها كنماذج على طرق يمكن بواسطتها أن نوفق بين مجموعة أمور كلها ضرورى ، والعبرة لما تتفق عليه الجماعة من صيغ وما أكثرها للوصول إلى تحقيق هذه المعانى مع بعضها دون أن نعطل واحداً منها ، على أنه يجب أن نلحظ للذى السبق سبقه ، فعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يؤمر أحياناً أول من يسبق إلى الأمر . وعلى هذا فيجب أن نعطى السابقين لاتجاه الخير فى الأمة ، والسابقين لاتجاه الخير والتصحيح فى الجماعة ، يجب أن نعطيهم إذا وثقنا من إخلاصهم وولائهم صفة خاصة ، وإذا كان بعضهم غير مستأهلين لهذه الصفة فعلينا أن نركز عليهم حتى يصلوا إلى استكمال هذه الصفة ، كصفة النقيب مثلا ، والله جلت حكمته أمرنا أن نأخذ بالأسباب ، فنجهد وننصب للوصول إلى الكمال ، وعلى الجماعة أن تلاحظ ذلك وأن تضع هذا وأمثاله موضع التطبيق ، وما ذكرناه هنا نموذج .

الدرس السادس عشر
فى السرية والجهرية

فى أى تخطيط أو تنظيم لابد أن يكون الجانب العلنى أو السرى مدروساً فيه ، وحتى فى الأمور التجارية قد تجد نفسك أمام ضرورة الإعلان أو السرية وعندما تصل إلى موضوع العمل السياسى على مستوى الأفراد تجد أن هذا الأمر يزداد أهمية ، فإذا نقلت المسألة إلى مستويات أعلى كان الأمر أكثر ضرورة ، ونتيجة لذلك فقد أحببنا أن نذكر فى هذا الكتاب درساً حول ذلك :

ليست السرية هدفاً فى حد ذاتها وليست الجهرية هدفاً فى حد ذاتها ، وإنما السرية أو الجهرية أسلوبان تمليهما ظروف الحركة ، فهناك وضع لابد من السرية فيه ، وهناك وضع لابد من الجهرية فيه ، وهناك وضع يقتضى هذا وهذا بآن واحد .

ولقد رأينا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حالات من السرية فى مرحلة الدعوة الأولى ، وكانت بيعة العقبة الثانية سرية ، وكان توجيه أمر الحركة لعبد الله بن جحش سرياً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، وكان يعمّى الأخبار عن خصومه صلى الله عليه وسلم ، فالظرف الذى تواجهه الأمة أو الجماعة هو الذى يملى عليها اعتماد الأسلوب المكافئ والمناسب ، والسرية والجهرية داخلتان ضمن هذه القاعدة الكلية .

وفى بعض الأقطار أوصلت التجارب إلى نوع من القواعد ، وفى أقطار أخرى أوصلت التجارب إلى نوع آخر . فمثلا فى بعض الأقطار أوصلت التجربة إلى مايلى :

الفرد فى حزب الله له مظهران : كونه مسلماً وكونه مرتبطاً بالتنظيم ،

والأصل فى الإسلام أن يعلن ، لأن وسيلتنا للدعوة إلى ما عندنا ، ولا ينبغى التكتم على الإسلام إلا فى حالات نص عليها الفقهاء أو حالات يصدر فيها أمر لشخص بعد دراسته . الأصل فى أوضاعنا الحاضرة أن يكتم الفرد ارتباطه بالتنظيم إلا الواجهات المشهورة التى تحتاجها الحركة حين الإعلان عن نفسها فى وقت انفراج مؤقت . تجربة هؤلاء تقول :

إن حزب الله ينبغى أن يؤمن لأفراده الحماية المستطاعة المشروعة لضمان استمراره وبقائه ، وفى كثير من الظروف تكون السرية الجيدة هى الأداة الطبية لهذا ، هذا ما أوصلت إليه تجربة بعض الإسلاميين فى بعض أقطارهم على امتداد هذا العالم ، ويرى آخرون أن السرية تقتل العمل ابتداء وانتهاء ، تقتله ابتداء بسبب بطء الحركة ، وتقتله انتهاء لتعرض أصحابه للمؤاخذة القانونية فى بعض الأقطار :

• • •

ونحن نقول : إن السرية والجهرية وسيلتان ، والقيادة الراشـــدة هى التى تعرف أن تستعمل هاتين الوسيلتين حق الاستعمال كل منها فى محله .

وهل بالإمكان إيجاد تنظيم إسلامى كل شىء فيه سر مغلق على كل فرد من أفراده وهل بالإمكان استمرار العمل ونجاحه ودوام الثقة فى هذه الحالة .

إن للسرية داخل التنظيم حدوداً وللجهرية كذلك حدوداً .

فى العمل الإسلامى المعاصر لا يستطيع أحد فى كل ظرف أن يكشف كل شىء ، لأن الجهرية المطلقة فى أوضاعنا الحاضرة وضمن أنظمة لا تعطى الإنسان حقوقاً أو أن الحقوق فيها مختلفة اختلافاً جذرياً عما هو فى المصطلح الإسلامى ، لا تكون إلا على حساب العمل ، فأنت ترى أن الدعاة بين قتيل أو سجين أو طريد أو مضطهد أو متهم أو مقطوع عليه الطريق أو محكوم عليه بالظن والكذب .

لذلك كانت الجهرية ضرباً من قتل العمل نفسه فى بعض الأحوال ، والسرية الكاملة ضرب من المستحيل ، إذ أنه لا يمكن أن تقوم جماعة إسلامية لا يعرف أسرار العمل فيها إلا واحد .

إنه لا بد أن نفرق بين سرية الجماعة بالنسبة لأعداء الإسلام ، وسريتها بالنسبة لأعضائها أو جهريتها ، وحدود ذلك أن للجهرية داخل الجماعة فوائدها ، إذ أنها تكشف أصحاب الزيف ، ولا يخرج للقيادة إلا الأقوى ، وتبقى الوسائل أكثر نصاعة .

وفى الجهرية داخل الجماعة يكون نمو طبيعى وصياغة أجود ، وفى الجهرية داخل الجماعة يعرف الإخوان عمل كل جهاز ويعرف المسؤول عن التقصير بحيث يمكن أن يحاسب ، وللسرية داخل الجماعة وعن غيرها فوائد واضحة ، فهى تعطى الدعوة فرصة التمكن والاستمرار وعدم التعرض لضربات الخصوم ، وتقلل من إمكانية تسرب الأخبار .

فهل نستطيع أن نجمع بين فوائد السرية وفوائد الجهرية .

إن سرية مطلقة على طريق التسلسل تصلح لحركة صغيرة مغلقة متجاوزة شرط الثقة ، والمسؤولية فيها ليست أمام الأعضاء ، والقيادة فيها غير منبثقة من الأعضاء ، وبشكل أوضح : يمكن لشبكة جاسوسية أن لا يعرف الفرد فيها إلا من يتصل به ، لأن الأدنى يقدم للأعلى ، والأعلى يأمر الأدنى . والأعلى مسؤول أمام جهات خارجية تستطيع تقييم كل شىء ، ولكن فى حركة إسلامية ليس بيدها سلطة ، الكبير فيها مسؤول أمام الأعضاء ، والجميع مشتركون فى تحمل المسؤولية ، ولا بد فيها من الشورى فى اختيار الأمير وغيره ، لا تكون السرية المطلقة : وهى التى لا يعرف فيها الفرد إلا اثنين أو ثلاثة أو أربعة ، وهو أداة الاتصال بينه وبين من هم أعلى منه وهكذا

إلى القمة وبشكل دائم ، شيئاً عملياً. لأنه بدلك لا توجد وسيلة يطمئن بها الصف ، ولا وسيلة يصل بها إلى الثقة . ولا وسيلة لفض الخلافات فى المسؤوليات ، ولا وسيلة لتحقيق الشورى .

إن عصرنا هذا عصر التجسس الرهيب ، لا يسع المسلمين فيه إلا تربية عالية وثبات عجيب ، ومع كل هذا احتراس لا يؤدى إلى الشلل مع الدقة فى التنظيم ، وهذه وحدها هى الضمانات ، وما عدا ذلك فلا ضمان :

الدرس السابع عشر

فى المركزية واللامركزية

فى كتاب الانقلاب المترجم إلى اللغة العربية يذكر صاحبه الانقلابيين بأن الحركات التى تخضع لقيادات مركزية عديدة يكفى أن تعتقل قيادتها حتى تشلها ، ويضرب على ذلك حركة الإخوان المسلمين والشيوعيين ، والكلمة قد تكون بحد ذاتها طعماً ليفر الإخوان المسلمون من المركزية الشديدة إلى اللامركزية ، فيقعوا فيما هو أسوأ من المركزية الشديدة ، وهذا يقتضى منا أن نذكر كل ما له علاقة فى هذه القضايا باختصار :

إن المركزية الشديدة فى العمل الإسلامى خطرة جدا للأسباب التالية :

١ — إن المركزية تعقد العمل وتشله ، فإذا كان كل أخ فى كل صغيرة وكبيرة عليه أن يستشير القيادة العليا . وإذا كانت كل شعبة وكل مركز وكل جهاز عليه أن يستشير القيادة العليا فى الصغيرة والكبيرة فإن القيادة العليا لا تكون قادرة على فعل شىء أصلا ، ولن يصل لأحد جواب صحيح عن قضية ما .

٢ — إن المركزية الكاملة إذا لم يحسب فيها حساب للضربات المتوالية وكيفية تلقيها ، فإنها تجعل الجماعة مستسلمة لكل ضربة توجه لقيادتها . وهى النقطة التى ذكرها صاحب الكتاب . . . . كتاب الانقلاب .

٣ — إن اللامركزية فى العمل كذلك قاتلة ، لأن عدم وجود سلطة شرعية مطاعة على مستوى القطر يجعل تحقيق الأهداف فى حكم المستحيل ، كما أنه فى هذه الحالة تنمو النزعات المحلية وتنمو القيادات المختلفة . ويصبح لكل جهة رأيها وتنعدم بذلك وحدة العمل . ومن ثم فإن المركزية الكاملة

مقتل واللامركزية كذلك مقتل . وللخلاص من هذين المقتلين نقترح ما يلي :

أن تعتمد اللامركزية المرنة فى الدعوة والعلم والتعليم والتكوين ضمن الخطة العامة فى حدود التعريف والتكوين نحن لسنا بحاجة إلى مركزية شديدة ، بل المصلحة أن لا ننطلق من اللامركزية المرنة . فى الأحوال العادية تشرف القيادة إشرافاً كاملا على السير . وفى الأحوال غير العادية تبقى المراكز والشعب منطلقة فى أعمالها . ولو تعذر وصول القيادة العليا إليها أو عجزت عن الإشراف الكامل . وأما فى عملية التنفيذ اليومى فينبغى أن يعتمد مبدأ اللامركزية فى الأحوال الاضطرارية ومبدأ المركزية الكاملة فى الأحوال العادية ، فتى أصبحت القيادة فى وضع غير عادى تنطلق قيادة المناطق فى التنفيذ على ضوء الخطط المتفق عليها سلفاً ، وأما فى القرار السياسى فلا بد من المركزية فى كل الأحوال ، وهذا يقتضى أن يتفق على صيغ بديلة عن الصيغ العادية . فإذا اعتقل بعض أفراد القيادة مثلا فما الصيغة البديلة . والمهم فى هذا كله أن لا تكون هناك خطة تستطيع بها سلطة ما أن تشلنا عن كل أنواع العمل ، ولعله فهم مما ذكرناه أنه فى الأحوال العادية ، الأصل أن يخضع القطر لقيادة مركزية واحدة هى التى تضع الخطط للعمل ، وتعتمد وسائله وتنطلق الجماعة على هدى ذلك دون احتياج دائم للرجوع إلى القيادة العليا .

وأما فى الأحوال غير العادية فتنتقل كل السلطة فى الدعوة والتعريف والتكوين إلى المراكز والشعب وكل السلطة فى التنفيذ المرحلى إلى قيادات المناطق على ضوء احتياجات المرحلة وعلى ضوء الخطط السابقة أو الأوامر اللاحقة بعد فترة الصدمة .

الدرس الثامن عشر

فى التجمع والانتشار والتركيز

يتساءل بعض الإسلاميين : لماذا لا يجتمع أصحاب الدعوة الإسلامية فى مكان واحد يهاجرون إليه ويقيمون دولة إسلامية تكون نواة ومنطلقاً للعمل الإسلامى ؟ أليس من الأفضل من أن تبق قواهم مبعثرة وإمكانياتهم مشتته ؟ والجواب لنفرض أننا حاولنا أن نجتمع فى مكان واحد لنقوّض نظامه ، فهل يتركنا هذا النظام نجتمع ونأخذ حريتنا فى الإعداد ؟ وهل من السهل أن يخرج كل منا من البلد الذى هو فيه لمثل هذا ؟ وهل سنستطيع إبقاء مثل هذا التجمع خفياً عن أعين الآخرين ؟ وهل سيكون بمقدور إخواننا فى القطر المهاجر إليه أن يستوعبوا الأعداد الضخمة الآتية إليهم ؟ وإلى أى حد ستسمح لنا قوانين الجنسية والجوازات والقرار أن نستقر وإذا دخلنا خفية فهل نستطيع الحركة بعد ذلك ؟ وإلى أى حد يستقبل أهل البلد حكم الأضياف وهل سيصلح أهل البلد من الإسلاميين لإدارة البلاد منفردين؟ وفى حالة قيام مثل هذه الدولة غير العادية ، إلى أى مدى نستطيع الانطلاق إلى البلاد الإسلامية وقد خلت من الإسلاميين .

ثم أليس احتمالا قائماً أن يتيح الإسلاميون لأعدائهم استئصالهم بتجمعهم فى مكان واحد ؟ إن أنصار هذا الرأى لهم حجة قرية ، وهى أن الحركة الصهيونية استطاعت أن تقيم دولتها بتجميع أنصار هذه الدولة فى مكان واحد . ولكن يجب أن نعرف أن الحركة الصهيونية ما كانت لتستطيع هذا لو لم تكن إدارة فلسطين بيد الإنكليز المتفق على هذا التجمع مع الحركة ، وأن الدول التى ساعدت على التهجير والاستيطان كانت ضخمة جداً ، وأن الحماية العالمية كانت مؤمنة لهؤلاء ، وأن الإمداد الدائم لكل ما يلزم دولتهم من سلاح وعتاد كان متوافراً ، وأن الزمن الذى احتاجه هذا كان كله

طويلا جداً ، وهذه شروط لا يمكن أن يتوافر لنا منها القليل ، فضلا عن الكثير ، هذا عدا عن كون أنصار هذا الرأى يفرون من الزمن الطويل .

ولأنصار هذا الرأى حجة من السنة ، هى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة المنورة ، ثم كانت هى المنطلق . وبعض الفقهاء يرى ضرورة الهجرة إلى أى بلد يصبح دار إسلام ، ولكن بعد أن يكون دار إسلام، والمدينة كانت ذلك يوم هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم تبق دار فى المدينة إلا ودخلها الإسلام ، وأصبح للإسلام فى المدينة الشوكة والسلطان وكان دخول أهل المدينة فى الإسلام يرافقه قبولهم لنصرة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم تقم دولة الإسلام بمحض الهجرة إلى المدينة بل بقبول أهل المدينة للإسلام ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الفارق الكبير بين ما وقع وبين ما يتساءل عنه .

لو تعلق قيام الدولة المسلمة فى مكان إلى نوع من الهجرة لوجب هذا النوع ، وإذا توقف انتصار الإسلام على نوع من الإمداد من الخارج فى الكفاءات وغيرها ، لوجب على من يستطيع الإمداد أن يفعل ، أما أن نعبىء قوانا كلها لعمل ليس مضمون النتائج ولا ممكناً فى الوقت الذى لو عبأنا مثل هذه القوى لأوجدنا استعداداً للدولة الإسلامية فى كل الأقطار ، فإن هذا عمل رشيد . إن علينا الآن أن نعمق مفهوم الحكم الإسلامى فى كل قطر إسلامى ، وأن نعمق التربية الإسلامية والثقافة الإسلامية فى كل قطر إسلامى ، وأن نوجد حزب الله على الكمال والتمام فى كل قطر إسلامى ، وأن تنشط للدعوة إلى الله فى العالم كله . إنه من السهل على أعداء الله أن يقضوا على حفنة من المسلمين يتجمعون فى مكان واحد ، ولكن من الصعب عليهم أن يقضوا على اتجاه ينتشر من المحيط إلى المحيط ، إن مهمتنا الآن الانتشار فى الطول والعرض فى العالم كله لنجعل فى كل مكان استعداداً لحكم الله وننمى قدرات المسلمين فى كل قطر ، ليستطيعوا حكم أنفسهم بالإسلام وقبول كل ما هو إسلامى وعلى هذا الطريق ستكشف الأقطار التى نضجت فيها

الثمار والأقطار التي تحتاج إلى مساعدة بالقدر الممكن المستطاع وبالشكل العملي المنتج والله هو الهادي لأقوم سبيل .

إنه لو خيرنا بين التجمع والانتشار فإننا نختار الانتشار ، وقد تكون الصيغة الفضلى هي الجمع بين الانتشار والتركيز . وعلى هذا الأساس فإنه بالإمكان أن نجري تقيما عاماً لكل الأقطار فقطر ينبغي أن يكون محل التركيز لإقامة دولة إسلامية وقطر ينبغي أن يكون قاعدة عمل آمنة للانطلاق . وقد يكون من المناسب في الأقطار التي نعتبرها قاعدة عمل آمنة أن نفتح حواراً مع حكامها لتقديم تسهيلات لنا ، ولضمان حرية الحركة والانتقال ولسلامة الأجهزة .

دعونا نتصور أنه نتيجة لتقييم شامل تبين لدينا أن نظاماً يمكن أن يقدم لنا خدمات ويمكن أن يطور نفسه إسلامياً ، ويمكن أن ينسجم مع سيرنا في حالة انتصارنا .

إن نظاماً مثل هذا يمكن أن نصنفه ضمن أقطار النصيحة ، أما النظام الذي لا يمكن أن يكون إلا حرباً على الإسلام والمسلمين فهذا ليس أمامنا خيار فيه إلا أن نصنفه ضمن أقطار الصراع ، فإذا استطعنا أن نجعل أقطار النصيحة قواعد عمل آمنة لنا فقد يكون ذلك مناسباً .

الدرس التاسع عشر

فى الانتخابات والوزارات والوظائف

قص الله عز وجل علينا فى القرآن قصة يوسف عليه السلام ، وكيف أنه استوزر لملك مصر مع كون تشريع ملك مصر غير تشريع بنى إسرائيل ، وقتذاك بدليل قول الله تعالى : « كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » . وقد استوزر كثير من علماء المسلمين أو عملوا لملوك الجور من أجل تحقيق مصلحة عادلة ، نقول هذا لننفى الفكرة القائلة بأن المشاركة فى الوزارة خطأ من كل الوجوه ، وما يقال فى موضوع الوزارة يقال فى موضوع الانتخابات أو فى موضوع الوظائف ، فليس هناك فى هذه الشؤون صواب مطلق ولا خطأ مطلق وإنما المسألة تدور على وجوه بحسب الأحوال والظروف .

إن الحركة الإسلامية فى كل قطر لابد أن يكون لها مجلس شوراها ، ولابد أن يكون أفراد مجلس الشورى على مستوى رفيع من العلم والعمل والتقوى والورع . وإن مجلس شورى القطر هو مرجع الأمور فى هذا القطر ، إلا إذا كان هناك مجلس شورى عالمى تخضع له مجالس الشورى المحلية ، عندئذ لايصح أن يتخذ مجلس شورى القطر قراراً يخالف فيه مجلس الشورى العالمى أو الأعلى ، والأصل أن لمجلس الشورى فى القطر أن يتخذ القرار الخاص بقطره ، فإذا قرر الاشتراك فى وزارة فهو أدرى بوضعه ، وإذا قرر المشاركة فى الانتخابات فهو أدرى ببلاده ووضعه ، وإذا قرر أن يفرز ناساً للمشاركة فى بعض الوظائف فهو أدرى ما دامت الأمور كلها سائرة ضمن دائرة القواعد العامة والخاصة للشريعة الإسلامية .

إننا ننكر على أخ أن يشارك فى وزارة قررت الجماعة ألا تشترك فيها ، وننكر على أخ أن يدخل فى معركة انتخابية قررت الجماعة أن لا تدخلها ولم تسمح له أن يدخلها . أما إذا سمحت الجماعة لعضو أن يشارك فى وزارة أو يدخل معركة انتخابية ، فليس لأحد أن يلوم ما دامت مناقشة الأمور كانت على أساس الإسلام .

إن يوسف عليه السلام أدار الحياة الاقتصادية فى بلد لم يكن مسلماً كما رأينا ، إن المشاركة فى وزارة أو برلمان أو فى وظائف معينة فى بعض الظروف قد يكون مفيداً إذا كان بقرار ، فنحن نحتاج إلى معرفة فى الحكم ووسائله ، ونحن نحتاج إلى أن نعرف كل شىء من الداخل ، ونحن بحاجة إلى أن نعرف كيف تدار الأمور ، وما هى العقبات أمامنا .

وهذه ليست دعوة إلى المشاركة ، ولكنها لفت نظر إلى جوانب إيجابية فى هذا الموضوع ، وإعذار للأقطار التى تتخذ مثل هذه القرارات .

إننا نطالب الأخ ألا يشارك بمجرد رأيه إذا كان للجماعة وجود ، ونطالبه ألا تتحكم بنفسه عوامل الهوى ، ونطالبه بقرار الجماعة وإلزامه سلباً وإيجاباً ، ثم ما كان بقرار الجماعة فعلى الرأس والعين ، ولكن الجماعة فى القطر لا بد أن تلاحظ فى قرارها تأثير هذا القرار على الحركة الإسلامية عامة . وهل يؤدى ذلك إلى إحراج الحركة فى أقطار أخرى ، لأنه فى كثير من الأحيان يؤثر القرار المحلى على التحرك فى أقطار أخرى . وهذا يطلبه خضوع القرار للمؤسسات العليا فى الجماعة .

* * *

قد يكون سبيل الجماعة الإسلامية للوصول إلى الحكم وإقامة الدولة الإسلامية فى قطر ما ، هو الانتخابات والمشاركة فى الوزارات ، وذلك هو الطريق البطىء والتدريجى والأسلم للحكم . ولكن السير فى هذا الطريق يحتاج إلى دراسات دقيقة وخبرات خاصة واحتياطات كثيرة ، فقد رأينا أن أى

نجاح شعبي لا يرافقه قدرة على حمايته لا يساوي شيئاً . إذ العسكريون المنحرفون قد يثبون إلى الحكم بمجرد أن يجدوا الحركة الإسلامية قد كادت تفرض نفسها على الرأي العام ، وغالباً ما يكون هذا الوثب محاولة للقضاء على الحركة الإسلامية ، ودائماً يكون هذا الوثوب مدعوماً من الخارج ، ولذلك فإن سلوك هذا الطريق يجب أن يتم بكامل الحذر إذا اعتمده قطر ما .

ومما يلاحظ فى هذا الموضوع أن دخول الانتخابات فى مكان ما يكسبك عداء الزعامات التقليدية لهذا المكان مباشرة ، فإذا ما رافقنا الفشل بقى العداء وكانت الفائدة قليلة ، ولذلك فإن النزول فى الانتخابات يقتضى دراسة كاملة لإمكانيات النجاح والفشل ، وليس من المعقول فى قطر يعتمد الانتخابات أن تستطيع جماعة اكتساح المناطق الانتخابية جملة واحدة ، فحيثما تستطيع النجاح نركز قوتنا وننمى خبراتنا ، وحيثما لا يعتمد النجاح ننظر هل بالإمكان دعم الأطراف التى يمكن كسبها وهى أكثر صلاحاً .

إن المعارك الانتخابية تحتاج إلى دراسة وتخطيط وخبرات كالمعارك الحربية تماماً .

ولا بد أن نلاحظ أثناء خوضنا للمعارك الانتخابية إذا قررناه :

١ ـ احتمالات رشوة الناخبين .

٢ ـ تواطؤ السلطة مع بعض الأطراف .

والحل دائماً سيطرتنا على الشارع وقدرتنا على المراقبة ، ولا يجوز أن يغيب عنا أن سفارات كثيرة تتدخل فى العادة بإمداد جهات ، فعلينا أن نكون قادرين على تمويل الحملات الانتخابية ، فلا انتخاب بلا مـــال ؛ وحتى نضمن النجاح فى الانتخابات لا بد أن يكون لنا برنامجنا القوى المقبول داخلياً والمراعى فيه الأوضاع الخارجية وألا نزهد فى صوت . والأول يقتضى دراسة دقيقة لاحتياجات القطر واحتياجات المناطق والتطلعات العامة والتطلعات الخاصة للناس ، والثانى يقتضى أن ندرس كل صوت فى المنطقة

وكيفية كسبه ، وهذا يحتاج إلى لجان كثيرة لدراسة الأصوات ورسم خطط كسبها، ولا بد من ملاحظة أن بعض الأنصار قد تهمل أسماؤهم من اللوائح الانتخابية ، فعلينا متابعة ذلك لإدراج أصواتهم ، وبعض الناس عجزة ، فعليك أن تكلف من يحملهم ، وبعض الناس زاهدون فى الانتخابات ويمكن أن يصوتوا لنا، فعلينا أن نقنعهم . وإذا كانت هناك قرى أو مناطق منعزلة عن مركز الانتخابات فعليك أن تحسب حسابها وتعمل فيها . إن صوتاً واحداً قد يؤثر على نتيجة الانتخابات ، فعليك ألا تزهد فى صوت فتجعله يعزب عن دراستك وكيفية كسبك له .

وقبل شهور من موعد المعركة الانتخابية أو سنين عليك أن تفكر وتعمل وتخطط للدائرة التى تفكر أن تدخل فيها انتخاباً . ومما تفعله بعض الأحزاب إذا أرادت الترشيح فى منطقة أن تجعل أنصارها فى المناطق الأخرى يسجلون أسماءهم فى هذه المنطقة ليستطيعوا الانتخاب، فيكون هذا دعماً للحزب ، فعلينا أن نلاحظ ذلك .

• • •

الدرس العشرون

فى أنواع الحكومات

الحكومات عندنا ثلاث :

١ – إسلامية عادلة .

٢ – إسلامية منحرفة .

٣ – مرتدة كافرة ، أو كافرة أصلا .

أما الحكومة الإسلامية العادلة فهى التى يعترف من بيده السلطان فيها لله بالحاكمية ، والتى تكون أجهزتها بيد المسلمين الحقيقيين والتى تكون مناهجها إسلامية والتى تكون منبثقة عن إرادة المسلمين والتى تكون تطلعاتها وآمالها منسجمة مع الإسلام وخاضعة لحكم الله فى أى قضية من القضايا ، ولا يحول بينها وبين تطبيق حكم الله حرص على جاه أو مال أو منصب ، فالدولة لله ، وشريعتها شريعة الله ، وسنتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعمل لتوحيد أمة الله ، وتعبىء نفسها تعبئة جهادية للقيام بما تقدر عليه من أمر الجهاد لتوحيد المسلمين وإخضاع الكافرين لكلمة الله ، حتى لا تكون فى العالم كله فتنة ويكون الدين لله ، وعلامتها فى كتاب الله ما ذكره الله بقوله : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

إنها دولة شعبها وحكامها يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وليس من معروف إلا وهم يأمرون به ، وليس منكر إلا وهم ينهون عنه . قال عمر ابن عبد العزيز فى تفسير هذه الآية : ألا إنها ليست على الوالى وحده ولكنها

على الوالى والمولى عليه . ألا أنبئكم بما لكم على الوالى من ذلكم ، وبما للوالى عليكم منه ، إن لكم على الوالى من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتى هى أحسن وأقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير الميزوزة ، ولا المستكره بها ، ولا المخالف سرها علانيتها .

هذه هى الدولة الإسلامية العادلة ، لها من الله النصر ، وللعاملين من أجلها كذلك ، ولها من المسلمين الطاعة والدعم والتثبيت ، فإذا أمرك أميرها بمباح فهو واجب ، وإذا خرج عليه خارج ودعاك لقتاله فعليك أن تقاتل .

وأما الإسلامية المنحرفة فدولة يقيم أصحابها الصلاة فى أنفسهم ، ويعترفون لله بالحاكمية ، فيطبقون كتاب الله على الأمة مع انحراف وضعف وظلم ، وهل يجتمع هذا ؟ نعم ، قال البخارى راوياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة) . وروى الإمام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قلنا : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفلا ننابذهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة . لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، ألا من ولى عليه وال ، فرآه يأتى شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتى به من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة) . وروى الشيخان ومالك عن عبادة بن الصامت قال : (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لاننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم ، وفى رواية : ولا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان) .

من هذه النصوص نعلم أنه قد تكون الدولة منحرفة ولا يجوز قتالها والخروج عليها إلا إذا ترك أصحابها الصلاة أو طبقوا غير شرع الله على الأمة

كدساتير وقوانين ، أما مجرد الخلل فى التطبيق فهذا لا يجوز قتالها لرعاياها ، ولكن لو قامت دولة عدل وإمام للمسلمين بحق فمن حقه أن يقاتلها ولو لأدنى انحراف إذا كانت المصلحة فى ذلك .

وأما الدولة المرتدة أو الكافرة فموقفنا منها القتال أو الإعداد للقتال حتى تسقط هذه الدولة المرتدة أو الكافرة ويقوم الإسلام ، إنه عندما يتسلط الكافرون على الحكم ، أو المرتدون أو البغاة ، أو الذين لا يقيمون الصلاة ، أو الذين لا يحكمون بما أنزل الله ، أو الذين فى دساتيرهم أو قوانينهم مخالفة قطعية لحكم الله يحلون بها حراماً قطعياً ، أو يحرمون بها حلالا قطعياً ، فإنه لا يكون أمام المسلمين إلا طريق واحد هو طريق تغيير النظام واستبداله بإرجاع السلطة الكاملة لأيدى المسلمين ، أى بإقامة دولة الإسلام بسلوك طريق ذلك .

لقد وجدت فى التاريخ الإسلامى صور متشابهة للأوضاع التى نواجهها على الأرض الإسلامية فمثلا بقى التتار محتفظين بالقانون الذى خلفه لهم جنكيز خان والمسمى بالياسه أو الياسا حتى بعد دخولهم فى الإسلام ، وبسبب هذا القانون أفتى العلماء بكفرهم ووجوب قتالهم إن استطعنا ، وعلى هذا فنحن لا نتردد فى الحكم على أى نظام فى الكفر إذا تبنى غير الإسلام أو فرض قانوناً أو دستوراً غير إسلاميين ، أو عطل الإسلام أو بعضاً منه ، على أن الحكم على النظام بالكفر شيء ، والحكم على كل فرد فيه بالكفر شيء آخر ، إذ قد يكون الفرد محكوماً بأوضاع وظروف تجعل الحكم فى حقه يختلف عن الحكم فى حق آخر .

هذا السلطان عبد الحميد ، ممن لا يشك فى رغبته فى خدمة الإسلام وإقامته ، وممن لا يشك بسلوكيته الشخصية أو إيمانه بالإسلام . ومع ذلك قد ورث عمن سبقوه تعطيل الحدود بضغوط دولية ، كما ورث أوضاعاً أخرى ، واستمر ذلك كله فى عهده وكان محكوماً بظروف كثيرة . فلا شك أن الحكم عليه يختلف عن الحكم على الراغبين بإنهاء الإسلام ، إن الحكم على النظام

بالكفر شيء والحكم على كل فرد فيه على حدة شيء آخر ، وذلك إذا كان الفرد فى النظام يعلن الإسلام أو يسره ، وليست هذه الصورة تشبه صورة أن الشيوعية كفر وكل شيوعى كافر ليس كلامنا فى مثل هذا حيث كل فرد يعلن الالتزام بالكفر ويدخل فيه اختياراً . فإذا أدركنا ضرورة الاحتراس فى شأن تكفير من يعلن الإسلام أو يسرّه وهو يشارك فى نظام كافر ، فإن فرضية إسقاط الأنظمة الكافرة قائمة .

• • •

من خلال عملية سبر كاملة لأوضاع العالم الإسلامى ومن خلال عملية تقييم شاملة فإنه يمكن أن تقسم الأنظمة الموجودة فى العالم الإسلامى إلى أنواع : نوع ليس أمامنا معه إلا أن نسقطه وأن نقيم النظام الإسلامى البديل ، ونوع يمكن أن نفتح معه حواراً . ونوع نضع فى حسابنا أن نطمئنه ، فلا يرهبنا قبل الحكم ولا يفر من التعاون معنا بعد الحكم .

إنه يمكن أن نصل فى بعض الأقطار إلى الحكم وتكون دولتنا أداة اجتذاب لكل الحكومات الإسلامية من خلال سياستنا الحكيمة التى تبعد كثيراً من الحكومات عن إلقاء نفسها فى أحضان التحالفات والدول الكبرى فتنجو من الخراب .

إن استراتيجيتنا العامة قبل الحكم وبعد الحكم تقوم على أساس القرار الحكيم ، وخطتنا فى كل قطر إسلامى ينبغى أن تكون على أساس السبر العام لأوضاع العالم الإسلامى .

الدرس الحادى والعشرون

فى معنى التنفيذ فى دعوة الأستاذ البنا واحتياجاته

جعل الأستاذ البنا مراحل دعوته ثلاثاً : التعريف والتكوين والتنفيذ ، وبعض تلامذة الأستاذ البنا أدركوا الكثير عن التعريف والتكوين ، وبقيت معانى التنفيذ غامضة إلى حد كبير عندهم ، فاقتضى ذلك منا إلقاء أضواء على هذا الموضوع ، نقول وبالله التوفيق :

التنفيذ هو الدائرة الثالثة من دوائر العمل فى دعوة الأستاذ البنا ، والدائرتان الأخريان هما دائرتا التعريف والتكوين ، والتنفيذ عندنا على معنى عام ، وعلى معنى خاص ، وعلى معنى أخص ، فالتنفيذ بالمعنى العام هو كل جهد يبذل خارج دائرة الذات لصالح الدعوة الإسلامية ، ومن ثم فقيام الأخ بعملية التعريف على الإسلام نوع تنفيذ ، وقيام الأخ بعملية التكوين على مبادىء الإسلام وأخلاقية الجماعة نوع تنفيذ . والتنفيذ بالمعنى الخاص هو الحركة اليومية ذات الطابع الجهادى لتحقيق هدف مرحلى ، والتنفيذ بالمعنى الأخص هو ممارسة الجهاد عملياً لتحقيق هدف شامل ، وعلى هذا يدخل فى التنفيذ كل جهادى يومى ، وكل إعداد لإقامة الدولة الإسلامية فى قطر كافر ، أو لعملية جهادية خارج القطر لتحقيق أهداف جهادية على الأرض الإسلامية أو فى إطار العالم كله ، وكل جهاز يحتاجه شىء من هذا يسمى أجهزة التنفيذ ، والحقيقة أن موضوع التنفيذ من أخطر المواضيع على الإطلاق ومن أكثرها غموضاً ، وذلك أن الأستاذ البنا كان يعمل فى هذا الموضوع كثيراً ويتكلم فى شأنه قليلا ، ولذلك فإنك نادراً ما تجد المعالم واضحة فيه ، مع أن الجماعة ما لم تكن نظرياتها عن التنفيذ واضحة ، وما لم تستطع أن تقيمها على أرض الواقع ، فإنها تفقد مبرر وجودها ، لأن كل مجموعة من المسلمين تستطيع أن تحقق التعريف والتكوين فى نفسها دون حاجة إلى جماعة

عامة ، بل إن كل مجموعة تستطيع أن تفعل شيئاً مما يدخل فى دائرة التنفيذ مع التعريف والتكوين ، فإذا لم تكن الجماعة مستشرفة كل ما يلزم للتنفيذ الشامل من البداية حتى النهاية وعلى كل مستوى ، فإنها تفقد مبرر وجودها ، بل إن التعريف والتكوين فى الأصل إنما هما مرحلتان متقدمتان للوصول إلى مرحلة التنفيذ ، فإذا لم ين على التعريف والتكوين فإن تفريطاً خطيراً يكون قد وجد . ولا شك أن التنفيذ يقتضى استشرافاً عاماً لشأنه ، ويقتضى تشكيل الأجهزة اللازمة ، ويقتضى التدريب المكافىء لفروعه لتغطيه أجهزته ، وهذه الأجهزة منها ما له علاقة فى التنفيذ اليومى ، ومنها ما له علاقة فى التنفيذ الشامل ، وهذا كله مرتبط بقضية الاستراتيجية والخطة ، والتنظيم ينبغى أن يكون محققاً لهذا كله مع استيعابه لشؤون التعريف والتكوين ، لأن التنفيذ الذى لا يستند إلى أرضية التعريف والتكوين محكوم عليه بالإخفاق ، ولنعرض الأمر بشكل آخر لتفهم قضية التنفيذ بشكل أدق :

الإسلام هو الدين الوحيد الذى تكلف به البشرية كلها ولا يقبل منها غيره ، ومن ثم فالجماعة التى تحمله جماعة عالمية ، هذه الجماعة العالمية لها أهدافها المحلية وأهدافها العالمية ، ومحل عملها الإنسان والعالم ، والمجتمع والدولة؛ وجماعة هذا شأنها لا بد أن يكون واضحاً لديها ما ينبغى فعله ، بدءاً بتكوين الإنسان ، وانتهاء بإقامة دولة الإسلام العالمية ، إن الحركة اللازمة لذلك على ضوء نظرية واضحة المعالم فريضة من فرائض الله على هذه الأمة، ولا شك أن قصوراً مخيفاً يوجد فى هذا الموضوع ، وهو مرض من أمراض المسلمين الخطيرة الذى بشكل واحداً من أهم أسباب التمزق والتفرق والعمل المنفرد .

إنه بسبب الغموض فى هذا الموضوع تنعدم صورة العمل اللازم واحتياجاته ، وبالتالى يتحرك كل مسلم على مستوى الأفق المرئى له ، فهذا أفقه حيه ، وهذا أفقه قطره ، وهذا أفقه الصراع مع جهة ما من غير المسلمين ، وهذا أفقه الصراع مع جهة من المسلمين ، وهذا أفقه أن يتحرك مشاغباً على نظام ، وهذا أفقه أن يشفى غيظ قلبه ، وهذا أفقه أن يتحرك داخل

أسرته ، وهذا أفقه أن يذكر فى جانب من العلم ، وهذا أفقه أن يذكر بجزء من الإسلام . فى الوقت الذى توجد فيه أمم تستشرفنا وتخطط لنا ، ونحن بانفعال عاطفى نتحرك كرد فعل مباشر ضمن حدود ضيقة ، وقد يكون ذلك طيباً ، ولكنه لا يكفى ولا يغنى .

نجد مجموعة من المسلمين تبلغ العشرات ، ونجد مجموعة أخرى تبلغ المئات ، ونجد مجموعة مؤلفة من أفراد ، وكل من هؤلاء يتصور أن بيده حل مشكلة المسلمين ، مع أن بعض مشاكل المسلمين يحتاج إلى جهد الملايين بشكل متكاتف متعاون منسق ، ولو بحثت عن علة المسألة لوجدتها فى انعدام الرؤية الشاملة وعدم معرفة مستلزمات الأمور .

دعنا ننظر نظرة شاملة فى احتياجات قضية ما ، لنرى ما إذا كانت النظرة الشاملة تغير فى الأسلوب والموقف :

المسلمون فى كل قطر من أقطارهم مكلفون شرعاً بأن تكون حكومتهم إسلامية ، والحكومة إسلامية ما دامت مناهجها إسلامية والقائمون على الأمر فيها ملتزمين بالإسلام . ولنفرض أن قطراً ما لا توجد فيه هذه الحكومة ، إن المسلم الحق يفكر فى الطريقة التى يصل بها إلى تحقيق هذه الفريضة ، وذلك بأن يبحث فى الطريق الموصل إلى ذلك : فيدرس القوى والعقبات التى تحول دون ذلك ، ويبحث عن مجموع ما يلزم لإزالة العقبات وإيجاد النظام الجديد ، ونتيجة للنظرة الشاملة قد يجد أمامه جيشاً قوامه كذا ، وأجهزة قوامها كذا ، ونظرات خاطئة عند أصناف من الناس هى كيت وكيت وطوائف بعينها لن ترضى بنظام الإسلام ، ثم وثم هذا كله فى المحيط الداخلى . وبنظرة شاملة يرى أن المسألة ذات أبعاد خارجية ، فالدول المجاورة والدول العالمية قد تفاجئنا بمواقف تحتاج إلى كذا وكذا . وأمام هذا التقييم الشامل فالوصول إلى هذا الهدف يحتاج إلى قوة قوامها كذا وملاكات قيادية قوامها كذا وأجهزة عددها كذا وهل ستحتاج المسألة إلى صراع يومى جزئى أو لا تحتاج وماذا سيترتب على ذلك من احتياجات ، فإذا كان

التقدير صحيحاً وكانت هذه كلها احتياجات لتحقيق هذا الهدف وتعين هذا كله كطريق لتحقيق هذا الغرض فإن هذا كله فى حق المسلم يكون فرضاً ، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وإذا كان هذا لا يتم إلا بمجموعة جهود المسلمين فى القطر فعندئذ يكون مفروضاً على كل مسلم أن يشارك فيه ، أو إذا تعين إنسان للعمل فى جانب ما فإن هذا الجانب فى حق هذا الإنسان يكون مفروضاً فرض عين ، أفرض أن مسلماً منصفاً فى قطر عقل هذا الموضوع فإلى أى حد تبقى تصورات هذا المسلم عن معركته ناقصة وإلى أى حد يبقى إيمانه بالعمل المنفرد موجوداً . وهكذا نجد أن معرفة مستلزمات التنفيذ تؤثر على طريقة تفكير المسلم ، فبدلا من أن يتصور واهماً أنه من خلال أفراد يستطيع أن يحقق ما يحتاج إليه يصبح هو ومجموعة الأفراد جزءاً من آلاف العاملين . ولا نقول هذا ونحن نتناسى العوامل النفسية الأخرى التى تحول بين بعض الناس والعمل الإسلامى الشامل من انعدام ثقة أو ضعف يقين أو فرار من واجب . ولكنا أردنا فقط أن نبين تأثير التصور الصحيح على قرار الإنسان فى قضية التنفيذ .

ولنرجع إلى أصل الموضوع : ماذا يلزم لتحقيق الأهداف ؟ ماذا يلزم للوصول إلى كل مسلم ؟ وماذا يلزم لربط كل مسلم برباط مع بقية المسلمين ؟ وماذا يكون لتكوين الشخصية الإسلامية على حسب استعدادها وسقفها الأعلى ؟ وما الطريق إلى ذلك؟ وماذا يلزم لقيام الحكم الإسلامى فى قطر ما ... وماذا يلزم لقيام دولة النواة ؟ وماذا يلزم لقيام دولة الولايات الإسلامية المتحدة ؟ وماذا يلزم لقيام الدولة العالمية ؟ وما يلزم لذلك من أفكار ومن أجهزة ومن تدريب ومن كفاءات ومن خطط ومن عمل يومى؟ وما هى الأشياء ذات الأفضلية ؟ وما هى الخطوة السابقة التى توصل للخطوة اللاحقة ؟ ...

كل هذه الأمور هى التى تطلق عليها قضية التنفيذ . والقصور فى الفكر المكافىء لذلك يسقط كل مبررات وجودنا كجماعة إسلامية تسعى نحو الوصول إلى أن تكون هى جماعة المسلمين ؛ لأنه إذا تساوينا مع غيرنا فى

القصـــور فى هذا الشأن ، كان لغيرنا ميزة علينا ، فهو عندئذ يعمل كما نعمل مع تجنيبه نفسه وإخوانه الخطر الذى لا فائدة من تحمله ، بل نحن نقصر كثيراً مما يقدمه لإخوانه بسبب احتياطاتنا ، مع تحميلنا أنفسنا وإخواننا الخطر دون مسوغ ودون مردود .

إن هذه المسألة يجب أن تكون واضحة فى أذهاننا وأن نكون صرحاء وجرآء فى مواجهة أنفسنا بها وفى معرفتنا حدودها . . .

ولا بد ونحن نتحدث عن التنفيذ أن نتحدث عن مجموعة القضايا الرئيسية التى تشكل الألف باء فى عملنا ونحن نتحرك حركتنا الشاملة :

١ ــ لا بد أن تكون لنا نظريتنا الأمنية الشاملة التى تلحظ فيها القوى المحلية والقوى العالمية ، فالمسلم يستهدف الشهادة ولكنه يفكر وهو يدخل معركته فى كل ما يحتاجه للنصر من أسباب ، وقد كلفنا الله عز وجل بالجهاد ضمن عالم الأسباب ، ونحن وإن كنا على استعداد فى لحظات معينة أن نكون حركة فدائية بمجموعنا ، ولكن الأصل أن تكون حركتنا حركة إنقاذ للمسلمين فى السير بطريق ذلك لا أن يكون عملنا ذا طابع انتحارى فى حقنا وفى حق شعوبنا .

٢ ــ لابد أن تكون عندنا نظرات دقيقة جداً نوازن بها وبين نظام ونظام وبالتالى نعرف إيجابيات هذا النظام أو ذاك على سيرنا وكذلك سلبياته . لقد ألفنا فى فترات طويلة أن نجعل كل الأنظمة على قدم السواء فى حديثنا وكأنها سواء فى حقنا ، والأمر ليس كذلك ، فهنالك نفاق وأشد وهناك كفر وزيادة . قال تعالى : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » . وقال : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » . ثم إن شريعتنا أعطتنا قواعد اشتهرت فيها عبارات : أهون الشرين وأخف الضررين ، وأمثال ذلك وكل ذلك يفيد أننا نحن المسلمين لا بد أن تكون لنا تقييماتنا لسلبيات كل نظام وإيجابياته فى حق دعوتنا وحركتنا ، صحيح أن كل الكافرين أعداء

طبيعيون لنا ، وأن الكافرين يجمعهم عداؤنا ، وصحيح أن علينا أن لانطمئن ولا يقر لنا قرار حتى يقوم نظام الإسلام .

ولكن لو تأملنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن بعض الكافرين قدموا خدمات لدعوة الله ، وقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ليعيشوا فى ظل النجاشى على كفره وقتذاك بسبب أنه عادل لايظلم فى ملكه ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم اختار لأصحابه أن يعيشوا فى ظل نظام يحتمل على العيش فى ظل نظام لايحتمل ، صحيح أن النجاشى أسلم بعد ذلك ولكنه عند بدء الهجرة لم يكن مسلماً ، والتجارب علمتنا أن الديموقراطية كمناخ للعمل تكاد لا تقارن بالنسبة للأنظمة الديكتاتورية والشيوعية ، فأن يوجد بعد كل هذه التجارب من لا يفرق بين نظام ونظام فتلك عين الحماقة . صحيح أن أعداء الإسلام ينهون الديمقراطية حينما تصبح الديمقراطية لصالحنا ، ولكن هذا لايعنى أن نفرط فيها إلا إذا تأكدنا أن النظام اللاحق سيكون لصالح الإسلام والمسلمين بشكل أجود ، ثم إن معادلة انتهاء الديمقراطية بمجرد أن تصبح لصالحنا ينبغى أن تكون محل دراستنا .

٣ - إننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً من أجل تحقيق الأهداف إلا إذا كانت لنا عقلية تنفيذية تمتلك أعلى درجات الحزم وأقصى درجات المرونة فى حدود الشريعة ، فنحن لا نستطيع أن نتحرك إلا على ضوء رخصة وعزيمة ، تلك شريعتنا ، وذلك الذى يسعنا ، وغيره لا يسعنا . إن كثيراً من إخواننا يتذكرون الأحكام العادية وينسون الأحكام الاستثنائية ، حتى وهم يعيشون ظروفاً استثنائية ، ويتذكرون الأحكام التى وضعت للأحوال الاختيارية ، وينسون أن هنالك أحكاماً للحالات الاضطرارية ، ثم إن كثيرين منا لا يعرفون تأثيرات الضرورات على الأحكام . وهذه كلها أمور إذا نسيت فإن الحركة الإسلامية لا يمكن أن تسير سيراً عادياً ، بل يؤدى ذلك إلى دمار الإسلام والمسلمين ، ولنا فى تجربة أتباع المسيح بن مريم مثل على ذلك ، لقد وجدت عقليتان لاثالث لهما

فى تلاميذ المسيح : عقلية منحرفة ومرنة بآن واحد هى عقلية بولس ومدرسته ، وعقلية تأخذ بالعزائم وحدها هى عقلية الحواريين ، وذلك ميزة ، ولكن لا تسعنا ، فكان من آثار ذلك أن انتهى الخط الصحيح فى الديانة المسيحية لصالح الخط الكافر المنحرف . ولكنا ونحن ندعو إلى ملاحظة حالات الضرورة وإلى ملاحظة الرخصة والعزيمة لا ننسى أن ذلك كله يجب أن يكون على ضوء العلم وعلى ضوء الفتوى الصحيحة من أهلها ، هؤلاء فقهاء الحنفية مثلا اعتبروا سجن الظلمة من أنواع الكفر الملجىء ، وأجازوا للمسلم القيام للكافر إذا ترتب على ترك القيام ضرر ، وأجازوا للمسلم أن يبدأ الذمى بالسلام إذا كان له حاجة ، وكل ذلك سجلوه قبل عصرنا ، فإذا ما استفدنا من مثل ذلك فى محله فلا حرج علينا .

٤ ـ إنه لابد من التفريق بين الاندفاعة العاطفية والحركة الإسلامية المدروسة ، الاندفاعة العاطفية تليق بالأفراد ولكن لا تستطيعها الجماعات ، وبالاندفاعة العاطفية لا يتم شىء على المدى القريب أو البعيد ، ولكنها قد تشكل حوافز لحركة مدروسة فى المستقبل ، هذه اندفاعة الحسين رضى الله عنه ، إننا نشتريها بالأموال والأرواح لأنها انتفاضة بيت النبوة على نقل الحكم الإسلامى من كونه حكماً شورياً إلى أن أصبح حكماً وراثياً ، ولكنها انتهت بتلك المأساة التى كانت حافزاً لتحركات عاطفية أو مدروسة ، ولكن من بين هذه التحركات حركة واحدة وهى حركة آل العباس ، إنه لايسعنا ونحن جماعة تريد أن تحقق الهدف إلا أن نتحرك على ضوء دراسة دقيقة لكل ما يلزم فعله .

٥ ـ إنه لا بد أن تكون حركتنا على قدر إمكانياتنا ، ولا بد أن تكون الحركة محققة للهدف الذى من أجله كانت الحركة ، وأن نحسب دائماً ماذا يمكن أن تجرنا الحركة إليه ، وكل ذلك ينبغى أن تكون حساباتنا فيه دقيقة . لقد حققت حركة ابن الأشعث أهدافها بعرض بنى أمية عليه أن يعزلوا الحجاج ، فلما رفض ابن الأشعث ذلك وأصر على تغيير

النظام الأموى كله انتهت الثورة وبقى الحجاج وبقى النظام الأموى ، لقد استقطب ابن الأشعث كل من بقيت فى قلبه شعلة من إيمان ثائر على أوضاع ظالمة ، وهذه حالة يمكن أن تصادف الحركة الإسلامية دائماً ، وعلينا أن لا نفرط فى السير وألا نسير فى الطريق المسدود ، وأن القيادة الحق هى التى لا تقوم إلا فى الطريق الصحيح السليم مهما كانت الضغوط عليها .

٦ – إن المسلمين جميعاً لابد أن يطمئنوا إلى حكمة قراراتنا وصحتها ؛ وإن كل أخ يجب أن يطمئن إلى حكمة قرارات القيادات وصحتها ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا ألف كل مسلم ، فضلا عن العضو فى الجماعة ، أنه لا قرار إلا بعد دراسة ، وأن كل قضية قابلة للدراسة ، وأن الدراسة دائماً فى الصغيرة والكبيرة تأخذ مداها ، وأنه لا يوجد جواب ارتجالى ، ولاجواب اندفاعى عاطفى ، ولاتسرع بالرفض لمجرد أن الأمر طرح لأول مرة ، وأن الصدور مفتوحة لسماع كل حجة ، وأنه حيث كان قرار فذلك مدروس من كل جانب ، وحيث كان جواب فإنه القول الفصل فى كل قضية على ضوء الشريعة ، وأدب الفتوى الذى يلاحظ الزمان والمكان والأشخاص ، إن هذا وحده هو الذى يحقق الثقة بصفنا وهو الذى يرشحنا فى النهاية للتنفيذ السليم الراقى .

إننا نواجه أوضاعاً فى غاية الصعوبة ، وهذا يفرض علينا أن نتخذ قرارات فى منتهى الصعوبة كذلك صلابة أو ليناً ، وكل ذلك يفاجىء الصف ويفاجىء الأمة ، فإذا لم يكن الصف فى غاية المتانة والوعى والثقة والوحدة ، وإذا لم تكن الأمة تثق بنا الثقة المطلقة ، فإننا لا نكون مرشحين لاتخاذ هذه القرارات ، وبالتالى فإننا لسنا مرشحين للحكم ولا العمل السياسى كله .

إن الدين والحرب والسياسة تحتاج إلى أعلى درجات الثقة ، وإلا فلا نجاح لرجل دين أو حرب أو سياسة ، ونحن حركة يجتمع فيها الدين

والحرب والسياسة ، فكم ينبغى أن تكون الثقة فى صفنا بعضه ببعض والثقة فى أمننا بنا .

إنه فى العمل السياسى قد يتخذ الخائن والأمين موقفاً واحداً ، لأنه موقف مفروض وحق ، والذى يجعل الأمة تقبل أو ترفض هو اطمئنانها لأمانة الأمين وشكها بخيانة الخائن . هذا صلاح الدين وقع صلح الرملة مع الصليبيين الذين كانوا يحتلون جزءاً من فلسطين ، فن اتهمه ؟ ولكن كم اتهم حكام على أرضنا منذ عام ١٩٤٨ ؟ السر هو الثقة .

إن الثقة فى العمل السياسى لا تحتمل خدشاً : فإما عمل سياسى أو لا . فإذا كان عمل سياسى فلابد من مواقف ، وكل موقف سلباً أو إيجاباً لا يمكن أن يؤتى ثماره إلا إذا كانت الثقة على أعلاها ، ولاثقة إلا إذا اعتاد الجميع موقفاً مدروساً منا . وكانت القيادات تتحمل أكثر مما يتحمل أى إنسان آخر .

٧ — إنه لا يجوز أن تراودنا ولو للحظة واحدة فكرة البحث عن هيكل تنظيمى غير ذى فاعلية أو غير قابل لتحقيق الأهداف . إنه لا بد من الكفاءة ، ولا بد من التأهيل ، ولا بد من الاستفادة من كشوفات العصر ، ولا بد من الاستفادة من الاختصاصيين ، ولا بد أن نكون إسلاميين بكل معنى الكلمة ظاهراً أو باطناً ، ولا بد أن يقود الصف كله أصحاب الفاعلية والعطاء ، لا أصحاب الوجاهة المجردة وإلا فلا عمل .

٨ — ولا بد من التأنى ، فإن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث ، فالغلطة السياسية أو العسكرية يمكن أن تدمر جيلا كاملا أو أجيالا ، ولا بد أن نضع فى حسابنا من يواجهنا ومن هم وراء هذه المواجهة ، فالصهيونية مثلا لا تكمن قوتها فى دولتها إسرائيل فحسب ولكن فى مرتكزاتها الأولى

وهى التنظيمات الصهيونية ، وما تستطيع هذه المرتكزات أن تحركه من رأى عام بواسطة تنظيماتها الخفية كالماسونية مثلا ، وبواسطة امتلاكها للمال والإعلام، وما يترتب من تأثير على مواقف الحكومات، إن معركتنا ينبغى أن تكون محسوبة الأبعاد ، فذلك جزء من التكليف الإلهى فى جهادنا ، وفارق كبير بين أن تفرض علينا معركة ، أو أن ندخل معركة باختيارنا بعد أن نحسب لكل شىء حسابه .

٩ – المفروض أن لا نطلب من مسلم فوق طاقته ، وكل مسلم يستطيع أن يقدم خدمات فى أى موقع ، ولكن الذى يحول بينه وبين تقديم الخدمات إما أغلاط أو توهمات أو انعدام الثقة ، وكل ذلك لا بد من تحطيمه بالوسيلة المناسبة . وأداة الثقة الإنسان القادر على كسب الثقة من خلال كماله العلمى والسلوكى والسياسى ، ومن خلال مرونته ، ومن خلال إدراكه للطبيعة البشرية ، وفراسته فى الطريقة المناسبة للتعامل مع كل إنسان ، وتعميق الثقة بالمستقبل وبالطريق . إن شعور المسلم أنه أمام عقلية تمتلك عبقرية التنفيذ الصحيح هو بداية كسب الثقة ، ثم إن قدرة هذه العقلية على تحطيم الأخطاء والأوهام وتعبئة الطاقات هو الذى يضع الأمور فى مواضعها .

إن هذه النقاط التسع تكاد تشكل ألف باء فى سيرنا الإسلامى للوصول إلى التنفيذ الناجح ، وأى إهمال لواحد منها يعنى فى النتيجة أنه لا تنفيذ أصلا ، وإذا وجد فإنه يكون قاصراً أو مبتوراً أو غير قابل لتحقيق الأهداف كلها .

الدرس الثانى والعشرون

فى الجهـاد

الجهاد فريضة إسلامية قل من يتفطن لمستلزماتها فى عصرنا ، ونتيجة لذلك فلقد كادت هذه الفريضة أن تعطل ، ومن أراد إحياءها صدمته الوقائع أو طوقه الواقع . فما أكثر الأسلحة فى عصرنا وما أكثر تنوعاتها .

وما أقوى وسائل الاتصال .

وما أكثر أجهزة التجسس .

كل ذلك يجعل تحقيق فريضة الجهاد أمراً ذا مطالب متعددة ، فى الماضى البعيد كانت الأسلحة بسيطة وموجودة عند الجميع ، لأنه يسهل على الجميع أن يصنعوها .

ووسائل الاتصال عند جميع المتقاتلين واحدة ، لإنها تعتمد فى الغالب على أشياء متوافرة للجميع بما فى ذلك الحمام الزاجل ، وحتى تزرع جاسوساً فى مكان ما فهذا يكلفك زمناً طويلا أو بحثاً صعباً .

أما فى عصرنا فقد اختلف الأمر فى هذا وفى غيره :

أصبحت هناك أسلحة نقلت قوة بعض الأمم إلى ما لايتصور ، وأصبحت هناك وسائل للاتصال تطوى الزمن مما يؤثر على سير المعارك ، وأصبحت هناك أمم تعرف الصغيرة والكبيرة من غيرها ، ولهذا تأثيره على أى معركة .

لنفرض أن طياراً يطير بطائرة محلقة فوق المدى المجدى لسلاح خصومها ومعه قنبلة هيدروجينية تستطيع أن تفنى عشرة ملايين ، مثل هذا الطيار

قوته بعشرة ملايين رجل ، بينما قوة الرجل فى الماضى مهما زادت فهى لا تتعدى أن تكون قوة عشرة أو قوة ألف .

هذا الوضع الجديد أصبح يحتاج إلى أشياء كثيرة منا على كل مستوى، ولذلك فإننا ننصح بما يلى :

(ا) أن يتجه المربون إلى غرس الرغبة عند كل مسلم بالتدريب الجسمى والتدريب على السلاح .

(ب) أن يضع المربون بين يدى كل مسلم الكتب التى تفتح أمامه آفاق العمل العسكرى (العلوم العسكرية ، كتب فن الحرب ، كتب الاستراتيجية) .

(ج) أن يدفع بالكثير من المسلمين نحو الاختصاصات التكنولوجية المتنوعة التى تخدم التقدم الصناعى والعسكرى .

(د) أن يدفع بالكثير من المسلمين نحو التخصصات العسكرية حتى يستوعبوها استيعاباً تاماً .

(هـ) أن يدفع بالحكومات الإسلامية نحو الصناعات العسكرية .

(و) أن نبحث عن العقول المؤهلة لاستيعاب القضايا العسكرية لإيجاد عقول إسلامية عسكرية استراتيجية .

هذا بعض ما يحتاجه المسلمون فى عصرنا لإقامة الجهاد الإسلامى ، على أن هذا كله لا ينبغى أن يؤخر الإقدام على عمليات جهادية ممكنة إذا توافرت شروط ذلك .

وعلى جميع المسلمين فى العالم ، حكومات وشعوباً وأفراداً ، أن يكونوا على ذكر دائم أنهم بحاجة إلى تدريب وسلاح وفكر عسكرى . فليكمّوا ما استطاعوا من ذلك .

الدرس الثالث والعشرون

فى اركان نظريتنا الأمنية

إن تجربة العمل الإسلامى فى القرن الرابع عشر الهجرى أوصلت إلى قناعات أمنية كثيرة ، هذه القناعات ينبغى أن تأخذ طابع البدهيات فى أى سير إسلامى معاصر ، وفى الأصل فإن الركنين الأولين فى النظرية الأمنية الإسلامية هما : (ترك الذنب) و (إقامة التكليف) ؛ ومن خلال الاستقراء وتذكر الأصل فإن أركان النظرية الأمنية تصبح ثمانية :

١ ــ ترك الذنب . ٢ ــ إقامة التكليف .

٣ ــ الحس الأمنى عند الأفراد . ٤ ــ النظرية التنظيمية المناسبة والمكافئة .

٥ ــ التقدير الصحيح للموقف . ٦ ــ التحرك الحذر .

٧ ــ الخطة الأمنية لكل حركة . ٨ ــ النظرة البعيدة المدى .

ولنقف وقفة عند كل ركن من هذه الأركان :

١ ــ ترك الذنب

قال تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » . فما من مصيبة فى حق عامة الناس إلا وسببها ذنب ، ولذلك كانت المعصية أخوف عند (عمر) على الجيش الإسلامى من الجيوش وكثرتها .

٢ ــ إقامة التكليف

إن التفريط فى فروض العين أو فروض الكفايات مظنة العقوبة الربانية ، كما أن إقامة التكليف تستجلب رحمة الله ورعايته ولطفه ؛ قال تعالى : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . فالتحقق بالإيمان يستجلب نصر الله عز وجل ،

والتحقق بقوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم » . التحقق بهذه المعانى يستجلب رحمة الله ، والتفريط بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو جزء من التكليف الشرعى يستدعى نقمة الله وعقوبته « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » . « أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » .

٣ — الحس الأمنى عند الأفراد

قال تعالى : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا » .

فى هذه الصورة نجد حساً أمنياً مرهفاً يستتبع تصرفاً أمنياً حكيما . وعلى الجماعات الإسلامية أن تنمى عند أفرادها الحس الأمنى بحيث يكون تصرف الأخ مناسباً للمقام ، وهذا يقتضى ثقافة أمنية وتدريباً أمنياً وأدباً رفيعاً ، متى يصلح الكتمان ، ومتى تصلح السرية ، ومتى ينبغى السؤال ، ومتى يقبح ؟ وكيف ينبغى أن يكون الكلام ؟ وما هى حدود المعلومات التى تعطى لكل إنسان ؟ وما هو التصرف الحكيم فى كل وضع ؟ إن المسلم الذى لا يملك حساً أمنياً قد يودى بحياة الكثيرين وهو لا يشعر ، فمن خلال زوجة تتسرب أسرار قاتلة لأفراد أو لأمة ، ومن خلال طفل تتسرب أسرار قاتلة لأفراد أو لأمة ، ولذلك فمن مهمات الأفراد أن يبذلوا جهداً فى تربية ذواتهم أمنياً ، ومن مهمات الجماعة أن تربى الأفراد ، ومن مهمة كل مسلم أن يكون رقيباً على تصرفات إخوانه ، فإذا وجد خللا نصح ، وإذا وجد خطأ أمنياً تابعه حتى ينتهى ، ولا ينبغى أن نمل فى هذا الشأن . فالدين النصيحة .

ولا بد أن تتذكر أن إفشاء سر أخيك خيانة، إلا إذا كان يستكتمك على ما هو خيانة ، وعلينا أن نتذكر أن خيانة أسرار جماعة المسلمين أكبر إثماً وأعظم جرماً .

٤ ـ النظرية التنظيمية المناسبة والمكافئة

نحن أمة مكلفة ضمن عالم الأسباب مع الأمر بالتوكل ، فلا التوكل يلغى الأسباب ، ولا الأسباب تلغى التوكل ، وكجزء من عالم الأسباب فإن علينا أن نفتش عن النظرية التنظيمية المناسبة بكل ظرف تواجهه الجماعات أو الأمة بما يحقق الانطلاق أو الأمن ، فهناك نظرية تنظيمية تصلح لوضع دون وضع ، وهناك أوضاع تستدعى نوعاً معيناً من الأطر التنظيمية ، وكل ذلك ينبغى أن يراعى :

٥ ـ التقدير الصحيح للموقف

إن الأمة الإسلامية وهى تتحرك حركتها ، والجماعات الإسلامية وهى تتحرك حركتها ، والشعوب الإسلامية ، والحكومات الإسلامية ، لا بد أن تمتلك الإبصار الصحيح للواقع الذى أمامها ، وعلى ضوء ذلك تتخذ قرارها ، وكثيراً ما يحدث أن تدمر أمة نفسها بسبب تقدير خاطىء للمواقف ، أو بسبب قرار خاطىء ، ولذلك كان لا بد من التأنى فى تقدير الموقف ، ولا بد من البحث عن القرار الحكيم .

٦ ـ التحرك الحذر

ومع القرار الحكيم لا بد من التحرك الحذر ، فكثيراً ما يكون القرار حكيماً ، ولكن الاندفاعة المتعجلة فى التنفيذ تفسد الأمر ، وقلة من الناس يستطيعون أن يندفعوا حيث ينبغى الاندفاع ، ويحجموا حيث ينبغى الإحجام، ويتحركوا بالقدر اللازم للحركة .

٧ – الإطار الأمنى لكل حركة

إن من ألف باء العمل الإسلامى أن يترافق مع الحركة الصغيرة والكبيرة وضع الإطار الأمنى لهذه الحركة ، قد يكون ذلك صعباً ، ويعطل بعض الأوقات ، ولكن ذلك أفضل بكثير من تفريط أمنى يترتب عليه أخطاء متلاحقة .

٨ – النظرة البعيدة المدى

فى كل عمل سياسى أو عسكرى لا بد أن تعرف الاحتمالات الكثيرة وتضعها فى حسابك ، ولا بد أن تعرف أبعاد القرار المتخذ وما يمكن أن يوصل إليه ، وإذا لم تضع هذا فى حسابك فقد تربح ابتداء وتخسر انتهاءً .

هذه أركان النظرية الأمنية للعمل الإسلامى ، فلتكن على ذكر منا :

الدرس الرابع والعشرون

فى مواجهة الحرب النفسية

أصبحت الحرب النفسية علماً قائماً بذاته ، له أصوله وقواعده ، وهو من أخطر أنواع الحروب ، لأنك بواسطته تستطيع أن تحطم خصمك دون أن تدخل حرباً ، وإذا دخلتها فبأقل الخسائر .

والأصل أن تستعمل الحرب النفسية ضد الشعوب والحكومات العدوة ، ولكن منذ فجر التاريخ وهناك حكومات تستعمل هذه الحرب ضد شعوبها .

وقد وجدت أنظمة فى عصرنا استعملت هذه الحرب ضد شعوبها على أخس ما يكون الاستعمال ونحن المسلمين نواجه هذه الحرب النفسية على كل صعيد ، نواجهها على المستوى العالمى ، ونواجهها فى كثير من أقطارنا ، ولذلك فقد أصبح من الضرورى أن نعرفها ، وأن نفهمها ، وأن ندرك أساليبها ، وأن نتبين أهدافها ، وأن نتقن طريقة الخلاص من أسرها ، بل أن نستعملها ضد خصومنا كأحسن ما يكون الاستعمال .

وفى هذا الدرس المختصر عن هذه الحرب نقول :

إن أهم ما تستهدفه الحرب النفسية :

إيجاد اليأس والبلبلة والخوف وروح الاستسلام عند الخصوم ، وقد أدبنا القرآن بما لو تذكرنا ، فإننا نكون أكثر أهل الأرض استعصاءاً على الحرب النفسية . ومما أدبنا به القرآن :

(أ) ألا نتصور أن الكافرين سابقون ومعجزون « ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لايعجزون » « لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض » . إن أمة يربيها الله عز وجل على نفى التصور بأن الكافرين سابقون ومعجزون لا يمكن أن تقع فى دوامة اليأس .

(ب) قال تعالى : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » . أى يخوفكم أولياءه « فلا تخافوهم وخافون » . فالمسلم يعلم أن الشيطان يحاول أن يجعله يخاف من أولياء الشيطان ، وهو يرفض طاعة الشيطان فى ذلك أو فى غيره ، ويعمق فى قلبه خوف الله وحده ، وأمة لا تخاف إلا الله لا يمكن أن تغلب فى حرب نفسية .

(ج) قال تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

حرب الإشاعة جزء من الحرب النفسية ، والعدو يشيع شائعة الأمن حتى يسترخى المجاهدون ، ويشيع شائعةالخوف حتى يهرب المقاتلون. والتلقى عن القيادة الراشدة البصيرة هو الذى يفوت على العدو هدفه ، وهذا شأن الصف المسلم الرشيد ، لايقع فى أسر شائعات العدو .

(د) ومن الحرب النفسية أن يوهمك العدو أنك لا طاقة لك به « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » فكيف يستقبل المسلم ذلك؟ يستقبله بمزيد من الإيمان واليقين بوعد الله، ويستقبله بالتوكل على الله « فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » .

إن مسلماً لايخاف إلا الله ويعلم أن الله قادر ، ويرجع إلى قيادته فى أمر الأمن والحرب وقلبه ملء بالإيمان واليقين ، ويتوكل على الله فى شأنه كله ، لا يستطيع أحد أن يدخله فى أسر الحرب النفسية .

بل هو سيزداد مضاء وإصراراً على تحقيق الهدف فى الدنيا : نصرة الإسلام وعلى الوصول إلى رضوان الله فى الآخرة .

الدرس الخامس والعشرون

فى ضرورة تعميق معان معينة

إن هناك قضايا لا بد أن تأخذ عند المسلم العادي : فضلا عن رجل الدعوة ، طابع البديهيات الأصيلة العميقة ، من ذلك أن ينظر المسلم إلى الأنظمة العالمية ، فضلا عن الأديان الباطلة ، نظرة صحيحة ، فيعرف تفاهتها وبطلانها وسفاهتها وغرورها ، بحيث يأخذ كله طابعاً لا يعرف تردداً ، ولا يقبل أخذاً أو رداً . إن على كل مسلم أن يعيش فى بيئة لها مناقشاتها ولها آراؤها ولها اتجاهاتها الدينية أو المذهبية أو السياسية ، أن يكون عارفاً بأبعاد ذلك ، وأن يكون عنده لكل سؤال جوابه ، فإذا قيل كذا كان الجواب كذا . ثم على كل مسلم أن يكون واضحاً لديه ماذا يريد ، ما هى معالم دولته ؟ ما هى ميزاتها ؟ وما هى مبرراتها ؟ وما هى آثار قيامها ؟ وكل ذلك ينبغى أن يكون فى غاية الوضوح ، ونحن هنا لا نريد أكثر من أن تنبه على ضرورة ذلك ، ولكن كمحاولة لوضع أساس هو بمثابة نموذج نذكر بعض الجوانب مع ملاحظة أن كل هذه الأمور مفصلة فى أمكنة أخرى من دراسات الحركة الإسلامية المعاصرة أو دراسات الكتاب الإسلاميين .

فمثلا بالنسبة للفكر الرأسمالى الغربى لا بد أن نركز على بعض النقاط من مثل :

١ ــ إن الفكر الرأسمالى الغربى القائم على حرية الإنسان وعلى حرية رأس المال وعلى تحقيق رغبات الأكثرية خاطىء فى أصل التصور لطبيعة الإنسان ، فالإنسان عبد الله وليس حراً ، وإن رأس المال ليس من حقه أن يربح بمجرد أنه رأس المال وإن أهواء الأكثرية لا يصح اعتمادها ، وإن حرية الإنسان وحرية رأس المال وقرار الأكثرية ، كل ذلك لا بد أن تقيده

شريعة الله ، وتضبطها حدوده ، حتى لا تصبح الحرية فوضى فى أى جانب ، وحتى لا يصبح رأس المال مستعبداً ، أو مستغلا ، وحتى لا تنطلق الأهواء بلا ضوابط ، وإن الإسلام هو الصيغة الكاملة التى وضعت حرية الإنسان ، وحرية رأس المال ، ورغبات الأكثرية فى إطارها الصحيح .

٢ – إن العالم الإسلامى يحوى فى طياته عوامل تطويره الأسوأ أو الأحسن بآن واحد ، وفى هذا مكمن من مكامن الخطر فيه ، وإن الإسلام هو الذى يطور الإنسان فى كل شىء نحو الأهداف .

٣ – إن المجتمع الرأسمالى ونظامه يشكل منهاجاً ملائماً للشهوات ، وهو نقطة الخطر فيه على انتشار الإسلام ، ولكنه يبقى أجود من غيره للكلام عن الإسلام بسبب الحرية المعطاة فيه وليس ظاهرياً .

٤ – إن المجتمع الرأسمالى يحوى فى طياته من مظاهر القوة والمقاومة الكثير بسبب من الشورى الحرة التى تجعل إمكانية الاستمرار فى كثير من الأخطاء معلومة ، ولكنه فى طياته كذلك عوامل الانهيار ، وهذا سيعطى الإسلام فرصة لانتصاره النهائى على العالم ، ومن زمن بعيد كتب شبنجلر الغربى كتابه الكبير : سقوط الحضارة الغربية .

٥ – إن مظاهر التقدم المدنى فى النظام الرأسمالى وبريق الحرية عند الغربيين لا ينبغى أن يحجب عن أبصارنا . إن ذلك قام على تعبيد شعوب كثيرة واستلاب خيراتها من خلال استعمار قديم وحديث ، ومن ثم فإن مظاهر العبودية موجودة فى هذا النظام بأشكال شتى .

وبالنسبة للفكر الشيوعى لابد أن نذكر بعض النقاط من مثل :

(أ) إن كل المنطلقات التى انطلقت منها الشيوعية كانت منطلقات خاطئة إن فى قدم المادة أو فى فضل القيمة ، وإن كل ما بنت عليه الشيوعية على ضوء المنطلقات لم يكن صحيحاً ويسير على الطريق المعاكس لاحتياجات

الإنسان ، وإن ما جعلته الشيوعية هدفاً كان خاطئاً وما جعلته طريقاً لتحقيق الهدف كان خاطئاً . وتفصيل ذلك فى غير هذا المقام . أما الإسلام : فمنطلقاته وما انبثق عنها وأهدافه والطريق إليها كل ذلك كان صحيحاً .

(ب) إن الشيوعية غير قابلة للتطبيق ، وإن أمكن تطبيقها فى بعض الظروف وفى بعض الأزمنة فإنه يستحيل تطبيقها فى كل زمان ومكان على عكس الإسلام الذى يصلح للتطبيق فى كل زمان وفى كل مكان .

(ج) إن الشيوعية أطلقتها عقد الحقد والحسد وبعض الملابسات وبعض الظروف والإسلام برىء من ذلك ، لأنه هدى الله رب العالمين . ومن ثم فكل تعميم من تعميمات الشيوعيين يخرج الإسلام منه ، سواء فى ذلك نظرياتهم التاريخية وغيرها ، فالإسلام الذى أوجد ملكية الأمة لأنواع من الأراضى منذ مئات السنين ، كما حدث فى سوريا والعراق وأراضى الشام ومصر لا يمكن أن يدخله أحد فى تعميم من التعميمات القاصرة .

(د) إن الشيوعية هى أفظع استعباد الإنسان فى فرضها على الإنسان فكرا بشريا خاطئاً أو فى فرضها على الإنسان تنفيذ مخططات الدولة فى كل شىء على خلاف الإسلام النظام الربانى الذى أعطى الإنسان من الحرية كمالاتها دون انحرافاتها .

(هـ) إن الشيوعية تتراجع فى التطبيق نحو الخلف بدلا من أن تتقدم ، فهى عدا عن كون أصحابها لم يستطيعوا تطبيقها حديثاً ، مع أن الدولة بأيديهم ، فهم عاجزون عن السير البطىء نحو تطبيقها ، بينما الإسلام وجد من طبقه خلال العصور ، وقد استطاع أن يسع العصور كلها .

(و) إن الشيوعية تقوم على التضليل وعلى الوعود ، وإن من استجاب لها على أرضنا إما إنسان خائن أو إنسان جاهل مغرر به .

(ز) الشيوعية تقول للعامل : أيها العامل إن صاحب رأس المال يسلب منك ليرة فى اليوم ، فضح بحياتك من أجل روسيا لتسلبك روسيا فى المستقبل كل شىء ، حريتك وكرامتك ومالك وإنسانيتك .

أما الإسلام فيقول للعامل ولرب العمل : عليكما أن تحققا التعامل العادل ، وأنا الكفيل لهذا العدل ، وأنا الكفيل لكل النواقص .

(ح) إن الشيوعيين يفعلون مع غيرهم الكثير مما نفعله فى تعاملنا مع الآخرين من غير المسلمين ، ولكن شتان بيننا وبينهم. فنحن نفعل ما نفعل بأمر الله الذى خلق كل شىء وأمرنا أن نفعل ، وهم يحاربون الله ورسوله والمسلمين ويريدون أن يتصرفوا فى الناس على أهوائهم .

(ط) إن كل حجة يقولها الشيوعيون ضد الرأسمالية ، وكذلك العكس ، ليس للإسلام علاقة فيها . تلك حجج مادية تقابل حججاً مادية فى مجتمع مادى ، والإسلام شىء آخر . فما أكثر غفلة المسلم عندما يقحم نفسه مع أحد الطرفين .

هذا نموذج على بعض المعانى التى ينبغى أن نركزها فى عقل كل مسلم ، بل كل إنسان حول النظامين العالميين الكبيرين ، ومع هذا فلا بد من التركيز على كل فكر خاطىء يواجه المسلم فى بيئته . فالأمة الإسلامية افترقت على ثلاث وسبعين فرقة ، وبعض هذه الفرق يواجهنا فى بيئات كثيرة ، فلا بد أن نكون قادرين على إقامة الحجة بالحق .

كما أن تيارات كثيرة تصادمنا واتجاهات سياسية كثيرة تواجهنا . ولا بد أن يكون المسلم قادراً على مواجهة ذلك بقوة حجة وبسرعة بديهة .

الدرس السادس والعشرون

في الترتيبات المالية

قال أحد وزراء آل عثمان : (يجب أن تكون الخزائن ملأى والجنود سائرين) . هذه الكلمة من أعظم الكلمات التي ينبغي أن تكون على ذكر من كل عامل للإسلام ، وهذا يقتضي إيجاد ترتيبات مالية من أدوات الحركة للمسلمين من مثل :

(أ) **الزكوات** : ذكر الأستاذ البنا في مذكراته موضوع تنظيم زكوات المسلمين . وذكر لائحة يمكن أن يستفاد منها في هذا الموضوع . والمفروض بشكل عام أن تنظم زكوات الجماعة . وأن تحاول الجماعة كذلك أن تأخذ زكوات أو بعض زكوات أصدقائها من المسلمين ، والمهم مع هذا أن تعرف الجماعة كيف تتصرف في أموال الزكاة التصرف الذي يعطي أعظم مردود يخدم دين الله ويخدم المسلمين . فكثيراً ما يحدث أن بعض المسلمين لايتقنون وضع الزكوات مواضعها ، أو لا يضعونها بما يعطي المردود الأعظم . وأي تصرف في أموال الزكاة يجب أن يكون على ضوء الفتاوى المعتمدة لدى أئمة المسلمين ، وأن لا تسمح لقرش أن يصرف بتساهل . ولا بد أن يتم بين قيادة المركز وقيادة الشعبة وقيادة الجماعة اتفاق حول السياسة العامة لمصارف الزكاة .

ومن أهم ما تصرف به الزكوات قضية الإنفاق على طلاب علم ليكملوا التحصيل الشرعي لخدمة الإسلام ، وكذلك من أهم ما تصرف به الزكوات قضية التفريغ للدعوة إلى الله وقضية الجهاد في سبيل الله . وهناك الحالات التي ينبغي أن تحل بها مشاكل الإخوان المالية في إعطاء عامل رأس مال يحتاجه ، على أن يعطاه تمليكاً ، وقد أجاز فقهاء

المسلمين أن يعطاه فى الظاهر باسم قرض . ومهما قلنا فى هذا المقام فإنه قليل ، وعلينا أن نسلم صندوق الزكاة لمن يجمعون بين أعلى درجات فقه الدعوة وأعلى درجات الفقه والتقوى . والملاحظ أن الأستاذ البنا اعتبر من واجبات الأخ العامل الاشتراك فى صندوق الحج والاشتراك فى لجنة الزكاة متى كان مالكاً للنصاب :

(ب) الاشتراكات : ليس هناك من مرحلة من مراحل الانتساب للجماعة إلا وفيها اشتراك ؛ لقد ذكر الأستاذ البنا أثناء الكلام عن الانضمام العام للجماعة ، هى أدنى درجات الانضمام حيث يكون الأخ فيه أخاً مساعداً : (يتعهد بتسديد الاشتراك المالى الذى يتطوع به للجماعة ، وللنائب الحق فى إعفاء من يرى عذره بالنسبة له من بعض الأعضاء) : من هذا التعبير يرى أن الأخ المساعد هو الذى يحدد المبلغ الذى يرغب أن يتطوع به ، إن للجماعة أن تعفيه من الاشتراك فى بعض الحالات ، والملاحظ أن الأستاذ لم يحدد فى هذا المقام الجهة التى لها حق التصرف فى هذا النوع من الاشتراكات ، كذلك أثناء الكلام عن الأخ العامل ، لكنه أثناء الكلام عن الأخ المجاهد قال أثناء تعداد واجباته (والاشتراك المالى فى مكتب الإرشاد) وبالإمكان أن نقول نتيجة لذلك : إن الأخ المجاهد فما فوق ينبغى أن يكون جزء من اشتراكه لقيادة الجماعة العليا . على كل فبالإمكان إيجاد نوع من التوزيع العادل فى موضوع الاشتراكات بحيث يسع احتياجات إنفاق الشعبة والمركز وقيادة الجماعة .

(جـ) صندوق الدعوة : ذكر الأستاذ البنا أن من واجبات الأخ المجاهد (والاشتراك فى صندوق الدعوة والوصية بجزء من تركته لجماعة الإخوان) والذى نراه فى شأن صندوق الدعوة أن يوجد كل أخ مجاهد فما فوق فى بيته صندوقاً خاصاً ، كلما أراد أن يتبرع فى سبيل الله وضع فيه شيئاً ، وشجع أبناءه وزوجته ومن حوله على أن يضعوا فيه شيئاً ، وتحدد الجماعة يوماً سنوياً ، وليكن فى رمضان ، لفتح صندوق الدعوة ، ويجب أن تكون حصيلة هذا الصندوق لقيادة الجماعة العليا ، على أنه

يمكن أن يفتح هذا الصندوق فى أى لحظة إذا حدث شىء طارئ ، أو وضع عارض احتاجت به الجماعة إلى مال .

(د) المشاريع : لو حظ فى بعض الأقطار أنه ليس من المصلحة أن تتملك الجماعة ملكية خاصة بها لاحتمال المصادرة : ثم لأن كثيراً من المشاريع العامة للجماعة آلت ملكيتها لأفراد لأسباب شتى ، ومع ذلك فهو موضوع لا بد منه أحياناً ، فلتكن أمثال هذه الأمور خاضعة لأشد حالات الضبط والدقة .

(هـ) المساعدات : قال الأستاذ البنا : (ولن تقبل إلا من عضو أو محب — ولن يعتمد على الحكومات فى شىء . ولا تجعلوا فى تربيتكم فى مناهجكم ذلك . ولاتنظروا إليه ولاتعملوا له . واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما) . على أنه لا بد من التفريق بين صندوق الجماعة والمشاريع الإسلامية العامة ، فالكلام هنا عن صندوق الجماعة الخاص غلط يجب أن يصحح : لاشك أن للمال أهميته الكبيرة ، ولكن تعليق الأمور كلها على المال غلط كبير ، ومن ثم فإن الأستاذ البنا رحمه الله صحح هذا الموضوع فقال : (أما الوسيلة لتحقيق ذلك — أى تجديد حياة الأمة — فليست المال . والتاريخ منذ عرف حتى الآن يحدثنا أن الدعوات لاتقوم أول أمرها بالمال ولا تنهض به بحال) . إلا أن الأستاذ البنا بعد هذا يقرر أهمية المال فى مرحلة من المراحل ، وهذا كذلك تصحيح لغلط من لايرى أهمية للمال فى كل المراحل ، لذلك يقول : (فهى تحتاج إلى مال فى بعض مراحلها . ولكن محال أن يكون قوامها ودعامتها . فرجال الدعوات وأنصارهم دائماً المقلون من هذا المال . وسل التاريخ ينبيك) . وأخيراً فإن علينا أن نلاحظ أن قضايا المال دقيقة جداً . والتعامل المالى ينبغى أن يقوم دائماً على العدل والدقة وفى حدود الشريعة ، وإلا ترتب على موضوع المال مشاكل كثيرة .

الدرس السابع والعشرون

فى أهمية التركيز على بعض القطاعات

ذكرنا فى كتاب (فى آفاق التعاليم) أن من أهم نظريات العمل نظرية المراحل الثلاث : التعريف والتكوين والتنفيذ ، وهناك ذكرنا صور تطبيق هذه المراحل الثلاث ، وهنا نقول : القاعدة الرئيسية للاستراتيجية المحلية لكل قطر وللخطة المحلية تعتمد الموقف المناسب فى قضية التعريف والتكوين والتنفيذ ، وهى مراحل دعوتنا كما حددها الأستاذ البنا مع الإعداد الكامل لكل وسائل تحقيق الأهداف بحيث نكون جاهزين لكل وضع . وعلى هذا فكل قطر يرسم خطته على ضوء الخطة العامة الشاملة للعالم الإسلامى ، وموقفنا من كل نظام من أنظمته ، وبالتالى تتحدد الصورة التى نختارها من صور السير فى موضوع التعريف والتكوين والتنفيذ . وفى موضوع التعريف والتكوين ينبغى أن يلاحظ ما ذكره الأستاذ البنا من ضرورة الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم ، فكل تنفيذ على غير هذا الأساس غلط ينبغى أن لا نقع فيه ، وهذا يقتضى شيئين :

١ - مسح الأمة كلها .

٢ - حسن الخطاب لكل طبقة من طبقاتها ورسم خطة عمل فى كل دائرة .

وأهم ما ينبغى ملاحظته فى استمرار الإسلام متوقف على كسبنا للأجيال الناشئة من طلاب وغيرهم ، فبقدر وجودنا فى هذه الطبقات يكون مستقبل الإسلام ، وإذا فشلنا فى الوصول إلى هذه الطبقات ووصل إليها غيرنا ، فعندئذ تكون الطامة .

إن هذه الطبقات هى أكثر الطبقات استعداداً لقبول الخير ، وهى أكثر الطبقات استعداداً للتلقى والتضحية ، ومن ثم فينبغى أن تكون جهودنا فيها كبيرة ورعايتنا لها كثيرة ، وألا نتخلى عن متابعة تربية الأخ فى أى مرحلة حتى نوصله إلى مرحلة النضج .

ولنلاحظ ما يلى :

(أ) إن على الدعاة إلى الله أن يغطوا كل قطر بهذه الدعوة ، غير أن هناك جانباً يجب أن يعطوه من الأهمية أكثر مما يعطونه لغيره ، هذا الجانب هو مراكز التجمع القطرى والعالمى ، كالجامعات ومعاهد المعلمين والكليات وبعض معاهد الدورات . أمثال هذه المراكز يكون فيها عادة من كل القطر أو من كل المنطقة ، والجامعات العالمية يكون فيها عادة عناصر من جميع أنحاء العالم ، أمثال هذه المراكز يجب أن تغطى بالعمل أكثر من غيرها ، وأن يركز عليها أكثر من غيرها ، وأن يرقى الأفراد المنتسبون للدعوة فيها إلى أعلى مستوى ، لأن هؤلاء يشكلون القيادات الحقيقية للناس ، ولأنه بهؤلاء يمكن تعميم الدعوة بشكل عفوى فى القطر بالنسبة لمراكز التجمع القطرى ، وفى العالم بالنسبة لمراكز التجمع العالمى .

(ب) الطلاب هم أجيال المستقبل . وبقدر وصول الدعوة الإسلامية إليهم نحكم على مدى كون المستقبل للإسلام ، ثم هم عادة الذين يمدون الدولة بكل ما تحتاجه من اختصاصيين ، وبقدر ما تستطيع الحركة الإسلامية أن تصل إلى الطلبة وتحسن توجيههم نحو الاختصاصات التى تحتاجها الأمة الإسلامية تستطيع الحكم على مدى نجاحنا ، ثم إن الطلاب وسيلة هامة من وسائل الحركة فى اللحظة المناسبة ، ولذلك كان التركيز على الطلاب أهم جانب عندنا على الإطلاق على أن لا نكسب الأخ طالباً ونخسره خريجاً أو موظفاً .

إن الشباب والطلاب شباب أداة التنفيذ الأولى ، لأنهم أقدر على التضحية وأكثر شجاعة، فالأولاد مجبنة مبخلة ، وهؤلاء لا زوجة لهم ولاولد . وعلى هذا يجب أن نعطى الطلاب أهمية خاصة .

(جـ) إذا كان صراعنا مع الفكر الرأسمالى على بعض طبقات الأمة المحدودة العدد فإن صراعنا مع الفكر الشيوعى ينصب على العمال والفلاحين ، وعلينا أن نربح معركة الإسلام فى الجميع بإحداث الأجهزة التى تعمل فى كل مكان .

(د) لقد استطاع أعداء الله أن يجعلوا جيوش الأمة الإسلامية ضد هذه الأمة ، وعلينا أن نعمل فى هذه الجيوش من خلال الدعوة والتربية حتى ترجع هذه الجيوش إلى الإسلام .

الدرس الثامن والعشرون

وصـــايا

(أ) احترام الصفة والعضوية : نحن مسلمون مؤمنون ، وهذه الصفة يجب أن يحترمها كل منا كأعظم قيمة فى هذا العالم ، بصرف النظر عن جاه أو مال أو أى شىء آخر . قال عليه الصلاة والسلام : (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره) . رواه مسلم وفى الحديث الذى رواه مسلم : (بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) .

إن علينا أن نعطى هذه المعانى مداها فى أنفسنا ، فنحب المؤمن لصفة الإيمان ، ونحترمه لصفة الإيمان ، وألا نفضل عليه أحداً لصفة غير الإيمان ، فلا تميل قلوبنا ولا أعيننا إلى أهل الدنيا بسبب دنياهم . قال تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » .

فإذا كان هذا فى حق المسلم العادى لصفة الإيمان والإسلام ، فكيف إذا اجتمع مع هذا صفة زائدة على ذلك فى عصر مثل عصرنا للعامل فيه أجره الكثير كصفة عامل أو نقيب أو فوق ذلك بشهادة الجماعة من باب (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان) .

إن هذا بلا شك يقتضى منا احترام هذه الصفة احتراماً زائداً . وعلينا أن نتخلص من أمراض شعبنا فى ازدراء الأكبر أو ازدراء أصحاب

الفضل . فى الحديث : (لايعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذو فضل) .
إن احترام صفة الإيمان وصفة العضوية للأخ يجب أن نعطيها أهمية كبرى فى تربيتنا وفى سلوكنا . على أنه يجب كذلك لتكون للمسألة وزنها الحقيقى ، أن لا نعطى صفة لإنسان لا يستحقها ، وأن يعرف الصغير والكبير أن الصفة لا تعطى لإنسان إلا بجدارة . وعندما تعطى وقد تحقق بما يزيد على أصل تحقق الرجل العادى بمجرد الإسلام والإيمان بمعناها العام .

(ب) الإمرة والخدمة والموافقة: ومما يجب أن يعرفه الكبير والصغير وأن يكون جزءاً من تربيتنا : أن الإمرة عندنا خدمة ليس إلا . وهذا يجب أن يعرفه الأمراء أكثر من غيرهم ، لأن عليهم أن يكونوا أكثر خلق الله تواضعاً للمؤمنين ، وأكثر خلق الله خدمة للمؤمنين ولإخوانهم ، ونعنى هنا بالخدمة بأوسع معانيها حتى الخدمة بصنع الطعام والرعاية . إن الأخ الأكبر هو بمثابة الأب والأم الصادقين ، لا تجد عندهما فرقاً من ابنهما ، ولا يأنفان من خدمته ، ولا من أكل بقية طعامه . هذا كله مع المحبة والمودة والعطف والرحمة . بهذه الروح يتعامل الأخ الأكبر فى العضوية مع الأخ الأصغر فى السن أو فى العضوية ، بل فى كثير من الأحيان يتخلى عن رأيه فى الأمور العادية والدنيوية لرأى إخوانه الأصغر أو المكافئين . وهذا كله من أدب الأخ الأمير . ولكن أدب الأخ الأصغر يجب كذلك ألا يغيب عنه . فلا بد من أن يكون الأدب شعار الكبير والصغير فى هذه الدعوة . وليعلم الأخ الأكبر أن إخوانه إذا أحسوا منه بشىء من العنجهية أو الكبر — وما أشد إحساس البشرية بمثل هذا — فإن هذا بسبب مباشرة أزمة ثقة قد تشمل إنهاء الثقة بالجماعة كلها من خلال تصرف غير مشروع أو غير أديب أو غير رحيم . ولا يجوز للأخ أن يستغل صفة العضوية أو اختياره للإمرة فى استخدام الآخرين أو فى فرض نوع من التعامل الظالم أو المتعجرف على إخوانه .

وليعلم أنه حتى فى الصلاة أجاز بعض الأئمة للإنسان نية المفارقة ، فكيف فيما سوى ذلك من سير لا يقوم إلا على القناعة الكاملة للأخ بصحة السير . إن سيرنا يقتضى من الأخ فينا أن يضحى بحياته أحياناً دون أن يكون هناك أى سلطان مادى ، بل هو خوف الله وحده . وعلى هذا فلا يجوز أن يتصرف مع بعضهم إلا بمنتهى الرحمة ومشاعر الحلمة المشتركة . وهناك ظاهرة خطيرة تظهر أحياناً وهى :

أن بعض الإخوة القياديين يكثرون من استعمال الأمر بغرض فرض السيطرة . وهذا جهل كبير ، فإن المسلم لايصدر أمراً إلا مضطراً ، لأنه يخشى إن كان أميراً حقاً عند الله أن يعاقب المخالف بشىء من الفتنة . لذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانوا قواداً ورأوا أحد المسلمين فى المعركة تصرف تصرفاً غير مأمور به ، فإنهم كانوا يجيزون فعله ، خشية أن يعاقبه الله ، أو يعاقب الله الصف المسلم كله لمخالفة الأمر . إن الأمير المسلم لا يستعمل صيغة الأمر إلا لماماً . ولضرورة الدعوة — وفى هذا المقام نذكر بعض الأمراض من مثل المشاكسة أو الرغبة فى الموافقة على كل حال ، أو الذوبان فى الشخصية على حساب الحق ، إن هذا كله مرفوض ، فأدبنا الإسلامى هو الموافقة والمطاوعة فى الخير ، أخرج الشيخان وأبو داوود والنسائى عن أبى موسى قال : بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذاً إلى اليمن ، فقال : (ادعوا الناس وبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، وتطاوعاً ولاتختلفا ....) فليست المشاكسة من آدابنا، ولكن لا يجوز أن تكون الموافقة فى الباطل أو على حساب الدعوة . إن لكل أخ شخصيته المستقلة ، ومتى أحس بانحراف فى الدعوة أو فى السلوك أو فى الأخلاق، فينبغى أن يعمل حتى ينتهى الانحراف . أما فى الأمور العادية أو فى الأمور الاجتهادية فالموافقة هى أدبه العام . والمطاوعة فى الخير هى الأصل فى علاقات المسلمين بعضهم مع بعض ، تلك كانت سنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ج) البركة فى طاعة القيادة الراشدة : لا نحتاج إلى التذكير الطويل فى أن طاعة الأمير المسلم الصالح فيها بركة خاصة ، وكثيراً ما يحدث أن يتصور الناس أن فى المخالفة الخير ، ويكون العكس فى ذلك ، ومن رأى ثمار صلح الحديبية وموقف المسلمين الابتدائى منه عرف بركة ذلك ، فعلى الإخوة أن يلاحظوا هذا ، وأن يعرفوا أن القرار النابع عن قيادة راشدة فيه البركة . وقد يبارك الله فى القليل فيجعل فيه خيراً كثيراً . وقد يمحق الله الكثير فلا ينتفع فيه أحد ، فليلاحظ الإخوان ذلك وليحرصوا عليه .

(د) فى فن الإدارة الحديث يذكر بحث الإشراف ونطاق الإشراف والحد الأعلى لطاقة المشرف ، ويذكرون أن كل نوع من العمل يحتاج إلى نوعية معينة من المشرفين ، وأن المشرف له طاقة لا يتعداها ، فإذا تعداها فشل فى الإشراف ، ومن هنا فإننا نطالب إخواننا قيادة وصفاً ألا يكلفوا إنساناً فوق طاقته ، وألا ينتدب إنسان نفسه لعمل فوق طاقته ، لأن ذلك سيكون على حساب سلامة العمل حتماً .

(هـ) أى عمل من الأعمال لا بد فيه من تخطيط وتنظيم وتنفيذ ومتابعة ، وفى عملنا الإسلامى لا بد من هذه الأشياء كلها مع غيرها ، ومهمة الصف التنفيذ بالدرجة الأولى ، ومهمة القيادات التخطيط والتنظيم والمتابعة والتدريب بالدرجة الأولى ، والقيادة التى لا تتقن هذه الأشياء فاشلة ، والصف الذى لا يحسن التنفيذ فاشل ، ومن أجل الكمال فى هذا وهذا فإننا نوصى القيادات العليا للجماعات الإسلامية بأن توزع وقتها العملى : فيما بين التخطيط والتنظيم وتدريب الملاكات المؤهلة للنجاح فى أعمال الجماعة ، كما تعطى جزءاً من وقتها للمتابعة وللاطمئنان على سير التنفيذ .

دعونا نفترض أن عند قائد ما سبعين ساعة فى الأسبوع ، إن عليه فى هذه الحالة أن يوزع هذه الساعات بين التخطيط وتطوير التنظيم والمتابعة والتدريب ، وإذا لم يفعل فإن قصوراً كبيراً لا بد أن يظهر .

(و) كثيرون من القياديين يضيعون أوقاتهم فى تنفيذ أعمال يستطيعها غيرهم لو أنهم أحسنوا توجيهه وتدريبه ، هذه القيادات فى الغالب لن تحصل إلا بالفشل .

إن قدرة القائدة لا تظهر فى شيء كظهورها فى تحريك أكبر قدر من الناس فى العمل مع ترشيدهم وتقريبهم من الكمال .

(ز) عندما ذكر الأستاذ البنا سمات دعوة الإخوان المسلمين ذكر من جملتها : إيثار الناحية العملية ، فقال : وأما إيثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات ، فقد آثارها فى نفس الإخوان ودعا إليها أمور منها : ما جاء فى الإسلام خاصاً بهذه الناحية بالذات ومخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء ، فيسرع إليها التلف والفساد ، والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد فى إذاعة الخير والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفسه أمر دقيق قلما يتم بتوفيق . ومنها : نفور الإخوان الطبيعى من اعتياد الناس على الدعاية الكاذبة والتهريج الذى ليس من ورائه عمل . وما أنتجه هذا فى الأمة من أثر سيء ، وتضليل كبير وفساد ملموس . ومنها : ما كان يخشاه الإخوان من معالجة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة يكون عن كليهما تعويق فى السير أو تعطيل عن الغاية .

كل هذه أمور وضعها الإخوان فى ميزانهم وآثروا أن يسيروا فى دعوتهم بجد وإسراع وإن لم يشعر بهم إلا من حولهم ، وإن لم يؤثر ذلك إلا فى محيطهم ، هذا كلام الأستاذ البنا والتجربة الإخوانية لم تأخذ مداها ، ثم جاءت التجارب التى مر بها الإخوان ، فأثبتت أن كل تفريط بهذا الموضوع إهمال مميت ، ومن ثم فعلينا أن نفر فى كثير من الأحوال من كل مظهر ومن كل عنوان عريض . فالعنوان الكبير يطالب أصحابه بحجمه ، والعناوين الصغيرة يطالب أصحابها بحجمها ، وعلينا أن نفر من المظاهر العامة مع الفاعلية :

مع ملاحظة ما ذكرناه سابقاً من أن التعميات تحوى فى طياتها خطر الجمود أو خطر التفسير الخاطىء .

الدرس التاسع والعشرون

فى تقييم المرحلة التى تمر بها الأمة الاسلامية

بشكل عام فإن الإسلام يمر فى مرحلة الجراح الحتمية ، فإن تحرك المسلمون نحو الأمام جرحوا ، وإن تحركوا نحو الخلف جرحوا ، وإن تحركوا جانبياً جرحوا ، وإن راوحوا فى المكان جرحوا ، وإن سكنوا ماتوا ، وعلى الحركة الإسلامية أن تلاحظ هذا الوضع الصعب وهى تتحرك ، ولا يعنى أن هذا سيستمر ، ولايعنى أنه لا حل ، بل علينا أن نعرف طبيعة المرحلة التى نحن فيها لنتحمل لأواءها ونحسن الخروج منها وتكون حركاتنا على ضوء هذه المعرفة ومكافئة لهذه المرحلة ، ومن أجل هذا فإننا نحب أن نسجل مجموعة من المعانى ينبغى أن تلاحظ فى هذه المرحلة .

١ – أن يكون التركيز الأول فى العمل الإسلامى منصباً على وجود الوارثين الكاملين ، أى النواب ثم النقباء والمجاهدين والأنصار من خلال التركيز على العلم والتربية وتفهم الإسلام .

٢ – وفى مرحلة الجراح الحتمية يجب دعم الحركات الإسلامية والاتجاهات والمؤسسات ذات الطابع غير السياسى ، لأن بقاء هذه الحركات واستمرارها عامل مهم فى بقاء الإسلام .

صحيح أن ظهور هذه الحركات قد يكون عامل إبعاد عن الانخراط فى الحركات الإسلامية الشاملة العمل ، ولكن هذه المرحلة تبقى أكثر الأشياء أهمية هى بقاء الإسلام واستمراره ، وذلك بوجود من يؤمن به ويلتزم ، وعلينا أن نبذل جهداً للتطوير والتفهيم .

٣ ـ ومهما استطاعت الحركة الإسلامية أن توجه الحكومات فى الأقطار الإسلامية نحو مزيد من التصنيع ، ومزيد من الإنتاج الحقيق ، ومزيد من الارتقاء فى الاختصاص ، فعلينا أن نفعل ، لأنه بقدر استغناء الأقطار الإسلامية عن الحضارة الغربية فإن نجاح الإسلام فى المستقبل يكون أكثر وقدرة الأمة على إثبات ذاتها يكون أكبر .

٤ ـ وقد دأبت الدول الاستعمارية على أن تنشىء حركات ترغب من خلالها أن تقطع الطريق على الإسلام الواعى الشامل ، ودأبت على أن تدعم هذه الحركات بكل وسيلة ، وقد يكون مناسباً أن تحاول الحركة الإسلامية أن تغزو فكرياً هذه الاتجاهات .

٥ ـ وإذا استطعنا أن ترجح فى كل عملية انتخاب تجرى الجانب الذى يمكن أن يؤدى خدمات أكثر لصالح الإسلام ، فعلينا أن نفعل .

٦ ـ وكل ذلك يجرى وعمل الوارث قائم على قدم وساق فى تخريج طبقات النقباء والمجاهدين والأنصار مع توجيه طاقات هؤلاء وتفجيرها كل على حسب استعداده فى أنواع الجهاد على ضوء الخطة العامة للمسلمين فى القطر أو فى العالم .

٧ ـ وحتى الآن لم يسجل على حركة الإخوان المسلمين ولا يستطيع أحد أن يسجل أنها قبلت أى مساعدة خارجية من دولة أو حكومة . وتلك وصية الأستاذ البنا : ألا يضع أبناؤه هذا فى مناهجهم أو يفكروا فيه ، نشير إلى ذلك لأن إغراءات المساعدات كثيرة جداً مع أنها مقتل خطير ، ومن ثم اقتضى ذلك التنويه عنها : إن مجرد قبول المساعدات الخارجية يجعل الجهة الآخذة أسيرة للجهة الممدة ، لأن الحركة عندما توسع أعمالها بناء على هذه المساعدة تصبح مضطرة للخضوع الكامل لهذه الجهة فى مقابل هذا التلقى أو أنها ستضطر لأن تبيع نفسها لجهة أخرى . وهذا كله سيكون على حساب المبادىء ، ثم إن أى جهة من الجهات تقدم مساعدات تريد كشف حساب أو أنها تدفع لتحقيق أغراض . . وهذا وهذا يجعلك

مكشوفاً أمام العالم وأمام أجهزة الرصد العالمية وبالتالى فإنك إما مهدد بفضيحة أو معرض لاستئصال . هذا عن كون حركة الإخوان المسلمين لا يمكن أن تتفق استراتيجيتها اتفاقاً تاماً مع أى نظام ، ومن ثم فإن قبول المساعدة غلط كبير للمستقبل وحتى لو تطابقت استراتيجية دولة ما مع حركتنا داخل قطر وكانت المساعدات تؤدى إلى دفع ما نحو الأمام ، فإن ذلك يكون على حساب إرجاع الحركة إلى الوراء فى يوم من الأيام .

٨ – وكثيراً ما تضغط الأحداث على الحركة الإسلامية ليكون لها موقف سياسى معين ، وكثير من أبناء الحركة يرغبون بذلك ، لأن إعلان الموقف السياسى هو مظهر إثبات الوجود عندهم ، وكأن إثبات الوجود هو الهدف أو هو هدف ، وهذا غلط لأن الحركة الإسلامية ليست حركة مهمتها تسجيل المواقف فى خضم الصراع السياسى ، ذاك نوع من أنواع الرياء لا يجوز أن يكون موجهاً لتصرفات المسلمين . إن الموقف السياسى المعلن عنه له تبعاته الثقيلة الهائلة ، فقد يضطر آلاف من الناس هم وأسرهم لتحمل أوضاع صعبة بسببه ، ومن ثم فما لم يكن الموقف تقتضيه أمور جوهرية ، ولا بد منه ، فينبغى أن نحتاط فيه ، وحتى فى حالة اتخاذ موقف فينبغى أن يكون بعد الاطمئنان إلى أن ذلك لن يترتب عليه ضربة ساحقة أو مميتة تشل استمرارية العمل نحو الهدف وضمن الخطة . هذا شىء وأن تكون الأمور واضحة داخل الصف الإسلامى شىء آخر . إن وضوح الفكر السياسى لأبناء الحركة الإسلامية ووضوح المواقف الإسلامية الصحيحة للصف ونضج أبناء الحركة الإسلامية فى معرفة الصغيرة والكبيرة يعتبر ركناً من أركان البناء للحركة الإسلامية .. إنه بقدر ما ينبغى أن نحترس من إعلان الموقف السياسى فى عملية مجابهة مع نظام ينبغى أن تكون مواقفنا واضحة داخل الصف ، وبقدر ما نحترس عن إعلان موقف سياسى باسم الحركة الإسلامية يجب أن نعمل على إفشال المخططات التى تستهدف الأمة أو الإسلام أو التى تؤثر أصلا على تقدم الحركة الإسلامية .

٩ ـ يجب أن يعرف العالم أن الحركة الإسلامية إذا تعامل معها العالم بأخلاقية رفيعة فإنها ستعامله بأحسن منها ، لأن أدبنا أن نتعامل مع الغير بأحسن مما يعاملنا به ، وإن رسولنا عليه السلام أمرنا أن نحسن إلى أقباط مصر لمجرد أن هاجر أم سيدنا إسماعيل كانت من مصر ، ولمجرد أن المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فيها تعبير عن نية حسنة ، فأمة هذا هديها لا يمكن أن تتعامل مع الآخرين إلا بأرفع الأخلاقيات .

١٠ ـ وعلى الحركة الإسلامية أن تمتلك دائماً الجرأة على المبادرة والجرأة على اتخاذ القرار السياسى الصحيح ، مع ملاحظة الاحتراس الكافى فى كل مبادرة أو قرار ، والذين لا يملكون الجرأة على المبادرة يبقون أبداً عاجزين ، والذين لا يملكون الجرأة على اتخاذ القرار السياسى الصحيح يبقون أبداً فى القيود ، والتوفيق بين المبادرة من ناحية وقدراتنا من ناحية أخرى فى غاية الدقة . والتوفيق بين القرار السياسى الصحيح وطريقة التنفيذ على غاية من الدقة . وفى أى قرار خطير يجب أن يوضع له إطاره الأمنى بشكل كامل .

١١ ـ وأيا ما كانت الظروف والأحوال فإن الدعوة إلى الإسلام وتفهمه والالتزام به هى وحدها البداية الصحيحة ، وبقدر تفهم الإنسان للإسلام والالتزام به واستعداده للقيام بواجبات ذلك يعرف على واجباته الإسلامية التى أحد أجزائها أن يربط الإنسان مصيره بالإسلام ، وأن يرتبط مع أمثاله من المسلمين برباط عضوى « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد .... » . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . (لأن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) .....

١٢ ـ وعلينا دائماً أن نلاحظ أن مجموع ما يمكن أن تجابهه الحركة الإسلامية من ظروف أوسع من أن يخضع لقاعدة ، والمطلوب دائماً وعى عظيم واستيعاب شامل واستعداد واسع وتنظيم راق ومؤسسات قادرة على اتخاذ القرار السليم ، وقبل كل شىء وبعده الارتماء على أبواب العبودية لله عز وجل والتوكل عليه ، فإنها الموجه الأكبر .

١٣ – وأخيراً وأهم شيء بأن واحد هو أن نملك القدرة على كسب الثقة بأنفسنا وأشخاصنا واستيعابنا لما ينبغي تحقيقه ، وقدرتنا على إبرازه ، والإقناع فيه ، وقدرتنا على الرد على كل تهمة وكل شبهة . وهذا لا يتم لنا بدون الإخلاص الكامل لله ، والتمكن من الفهم والقدرة على العرض ؛ إن أعداءنا يملكون كل شيء لتشويه سمعتنا من الجرائد والمجلات إلى دور النشر إلى أجهزة الإعلام ، والعالم كله متواطىء تواطؤاً رهيباً ضدنا حتى أن كل أجهزة الإعلام في العالم تكاد لا تذكر شيئاً له علاقة بأي تحرك سياسي للإسلام والمسلمين . وإذا ذكرته فإنها تذكره في سياق مشوه ، ونحن لا نملك أمام هذا كله إلا منفذاً واحداً على الناس هو أشخاصنا ، فإذا لم نكن نستطيع أن نملك الثقة التي تتغلب على كل الطروح المعادية وعلى أشخاص أصابها فإننا نكون مغلوبين حتماً ؛ إن الثقة بأصحابنا ينبغي أن تكون أقوى من العالم كله ، هذا وحده يجعل الإنسان يصم أذنيه عن النباح العالمي والأكاذيب التي تملأ جو هذا العالم ، وذلك لا يتم إلا بمجموعة معان :

(أ) الإخلاص : إن النفس البشرية تشم المعاني الخيرة والقدرة من عالم المعاني ، كما يشم الأنف الطيب والعفن من عالم المحسوسات ، ونعني بذلك النفس التي لا زال عندها بقية من الفطرة ؛ ومن ثم فالنفس تشم الإخلاص كما تشم الرياء ، فبقدر ما نتحقق بالإخلاص لله عز وجل تستروح الأنفس لأشخاصنا . والإخلاص باب واسع .

(ب) الاستيعاب لدعوتنا والتمكن من عرض أفكارنا بها يستطيع الواحد منا إقامة الحجة على أن طروحه هي الأجود والأقوى والأعلى ، وأن فهمه هو الأدق ، وأن ما يسعى لتحقيقه هو الأنفع والأصلح ، وأن ما يدعو إليه ممكن التنفيذ ممكن التطبيق ، وهذا باب واسع لا يلين بيد الإنسان إلا بتوفيق من الله عز وجل ، هذا الباب سلاحه العلم والاطلاع والقدرة على المقارنة .

(ب) التنفيذ المادي المقنع لكل ما يتهمنا به أعداء الإسلام . فنحن حركة تتهم بأنها تحمل الإسلام نفاقاً ورياء لتحقيق مصالح ذاتية لأشخاصها وهي تهمة تافهة ، فإذا كنا نحمل الإسلام نفاقاً ورياء فليتفضل غيرنا وليحمله مخلصاً . فإذا كان غيرنا يحاول تحطيمه ونحن نحاول إقامته فكيف نتهم ؟ ثم إن الطريق للوصول إلى المنافع والمصالح في عصرنا ليست عن هذا الطريق بل الطريق إليها هي في أن يترك الإنسان الإسلام ويتبرأ منه. وحركة لم ينل أصحابها من جراء حمل دعوتها إلا الاضطهاد المتواصل الذي يصل إلى الإعدام والسجن مدى الحياة حركة لا يمكن أن يكون أصحابها على تهمة . ونحن حركة يتهمها العملاء بأننا عملاء والجواب على ذلك سهل وبسيط. فهذه الحركة بدأت سيرها في العشرينات ومنذ ذلك الوقت حتى الآن تقلب النفوذ في المنطقة من غرب لشرق ومن شرق لغرب ، فإذا كانت هذه الحركة لا تلق إلا اضطهاداً ، أليس ذلك دليلا على براءتها . وعلينا أن لا نسمح لكبريائنا الجريح أن يتعالى عن الإدلاء حتى بمثل هذه الحجج ، فكل كلمة لا بد أن تقابلها بالحجة ، ثم وبعد مثل هذا المنطق المادي يمكن أن نتحدى العالم كله إن كان باستطاعته أن يلوث شرف موقفنا، نحن حركة لم تعط فرصة التعبير عن مواقف ، ومع ذلك سجلت أنصع صفحات الشرف في تاريخنا .

إن حركة مثل حركتنا تعرف عظمة أهدافها وتعرف صعوبة تحقيق هذه الأهداف وتعرف كم تحتاج إلى متانة في البناء وارتفاع في الأخلاق — إن حركة مثل حركتنا لا تبالي في النهاية إلا بشيء واحد هو رضوان الله عنها وعن أصحابها ، وسيدرك الناس عاجلا أو آجلا نقاء الحركة الإسلامية بإذن الله ، ونحن نسرع بذلك بقدر ما نستطيع كسب الثقة ، ولن يتم لنا ذلك إلا بمعونة الله ولتتعبد له حق العبادة . قال تعالى : ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين » :

الدرس الثلاثون

قواعد فى الشورى والتنظيم

ملاحظة : هذا الدرس يكاد يكون تلخيصاً لمعان قد مرت معنا من قبل ، نذكرها هنا على شكل قواعد تضبط السير .

القاعدة الأولى :

إنه لا بد من التفريق بين مرحلة التأسيس ومرحلة الوجود الكامل بالنسبة للشورى . فعندما يوجد الداعية إلى الله ويبدأ الدعوة فيستجيب له ناس لم يعرفوا بعد الأحكام ولا القواعد ولا الأساسيات ولا الفرعيات ، فقد يكون من المناسب لهذا الداعية أن يستشير هؤلاء فى بعض الأمور ، ولكن الشورى فى حقه ينبغى أن تكون معلمة ، لأن هؤلاء ليسوا مرشحين لإعطاء الرأى الكامل المستوعب للأحكام وللزمان والمكان والأوضاع ، ولكن إذا نضج هؤلاء علماً وعملا ووعياً ودعوة فقد أصبحوا نظراء ، وبالتالى فإن الشورى بالنسبة لهم أصبح لها وضع آخر .

القاعدة الثانية :

إن حزب الله لا يمكن أن يكون كله على درجة واحدة « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . ولذلك فشىء عادى أن يكون بعض الناس مرشحين لإعطاء الرأى فى شؤون ، وآخرون مرشحين لإعطاء الرأى فى شؤون أخرى ، وهناك حالات كل الصف مرشح لأن يعطى فيها رأيه ، ولذلك لا بد من قواعد تحكم قضية الشورى .

القاعدة الثالثة :

شيء عادى أن تنبثق عن الصف قياداته بالشورى ، وشيء عادى أن يكون ذلك ضمن قواعد ، وشيء عادى أن يوجد الأمير على كل مستوى فى الجماعة (إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا أحدكم) .

ومن أجل الشورى من ناحية ، ومن أجل احكامها من ناحية أخرى ، فإنه من المناسب أن نعطى الأمير على كل مستوى فى حالة اختلافه مع القيادة المشاركة له فى تحمل حق عرض القضية الخلافية ، أما على صف أدنى أو على قيادة أعلى لتبت فى الخلاف ، وذلك من حق الأمير إذا اختلف مع الأكثرية المشاركة له فى العمل .

القاعدة الرابعة :

إن الأساسين الكبيرين اللذين ينبغى أن يقوم عليهما التنظيم هما : الشورى والقواعد المتفق عليها ، فأما الشورى فلقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » . وأما القواعد المتفق عليها فلقوله عليه السلام : (المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالا) . فالشورى هى القائد للجميع ، وهى الملزمة للجميع ، ومن ثم فلا بد أن تكون عندنا تصوراتنا الصحيحة لقضية الشورى فى الإسلام وأن نعطى الشورى تطبيقاتها العملية فى سيرنا ، فبالشورى توجد القواعد التى تحكمنا ، وبالشورى يوجد القيد ، وبالشورى يعدل ؛ وبالشورى يلغى ، وبالشورى توجد القاعدة البديلة . ومادامت القاعدة موجودة فهى التى تحكمنا ، وحيث لم توجد قاعدة فالشورى هى التى تحكمنا . وإذا أردنا أن نستأنس لفكرة تحكيم القاعدة حتى تتغير فإنه يمكن أن نستأنس لذلك بإستشارة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر — كما ذكرنا من قبل — فإنه استشار خشية أن يكون الأنصار مقتنعين أن حربهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلزمهم وقت ذاك بناء على القاعدة المتفق عليها يوم بيعة العقبة الثانية أن عليهم أن يمنعوه إذا هوجم لا أن يهاجموا عدوه .

القاعدة الخامسة :

القاعدة الكلية فى شأن الشورى داخل التنظيم هى : أن تعطى الشورى لأهلها وإذا أعطيت لأهلها فإن رأى أكثريتهم ملزم ، وإذا حدث خلاف فإن دائرة الشورى تنتقل إلى أعلى أو أدنى ، ويبقى رأى الأكثرية هو الملزم ، وإذا ما طرحت الشورى على دائرة ليس لها فى الأصل حق الشورى فإن هذا الحق تعطاه بالطرح عليها ، كما حدث يوم أحد ، وهذه القضايا يختلف فيها الناس كثيراً ، ومن ثم فنحن نحتاج إلى تدليل عليها وتأكيد لمضموناتها حتى لا يكون هناك لبس فى مسيرتنا التنظيمية .

إن الحركة الإسلامية وهى تسير لإعادة استئناف الحياة الإسلامية لا بد أن يكون لها نظريتها الواضحة فى فهم الشورى فى الإسلام ، ولا بد أن تكون لها قواعدها التنظيمية المتفق عليها ، وبدون ذلك فإننا لا نستطيع السير الطويل المستمر ، وسيبقى الصف قابلا للتمزق الدائم ، على أنه ينبغى أن يكون واضحاً ، أنه لا شورى حيث يوجد النص وأن القواعد لا يجوز أن تخالف شرع الله ، فنحن فى الشورى والقواعد محكومون بشريعة الله .

القاعدة السادسة :

قال تعالى : « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » .
قال ابن كثير : (أى إن اتفق والد الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا فى ذلك مصلحة له وتشاورا فى ذلك وأجمعا عليه فلا جناح عليهما فى ذلك . ويؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفى ، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر . قاله الثورى وغيره .

وهذا فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر فى أمره ، وهو رحمة الله بعباده حيث حجر على الوالدين فى تربية طفلهما ، وأرشدهما إلى ما يصلحهما ويصلحه) .

من الآية وشروحها ندرك قاعدة مهمة من قواعد الشورى ، فهنا اقتضت مصلحة الطفل أن يجمع الأبوان على الرأى حتى ينفذ ، أما إذا لم يكن إجماعاً فلا نفاذ . ترى إذا كان هذا الشأن فى أمر مصلحة طفل ، فما هو الحال فيما هو مصلحة للأمة أو مصلحة للجماعة الإسلامية ، ألا ينبغى أن يعتمد مبدأ الإجماع فى بعض الأمور كشرط للإلزام مما يترتب على الإجماع فيه مصلحة حقيقية للجماعة وشؤونها .

القاعدة السابعة :

قال تعالى : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » . قال قال ابن كثير : (وقد اختلف الفقهاء ، هل كان ذلك (الشورى) واجب عليه أو من باب الندب تطييباً لقلوبهم ؟ على قولين . أقول : إذا كان بعض الفقهاء يرى أن الشورى فى حقه عليه السلام واجبة فما بالك فى حق غيره ؟ وقال ابن كثير : (وقد روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وعمر : لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما) . وروى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال : (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم فقال : مشورة أهل الرأى واتباعهم) . أقول : فى هذا كله دليل على ما ذهبنا إليه أن الشورى يجب أن تعطى لأهلها ، وإذا أعطيت لأهلها فرأيهم ملزم أو توسع دائرة الشورى ويبقى رأى الأكثرية هو الملزم ، ففى يوم أحد عمم رسول الله الشورى على الصف كله ونزل على رأى الأكثرية . وفى شأن الطاعون وسع عمر الشورى ثم نزل على رأى إجماعى كما قصته علينا هذه الرواية : عن ابن عباس رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء وقع فى الشام . قال ابن عباس : فقال لى عمر : ادع لى المهاجرين الأولين ، فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه . وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال ارتفعوا عنى ، ثم

قال : ادع لى الأنصار ، فدعوتهم ، فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم . فقال : ارتفقوا عنى ، ثم قال : ادع لى من كان ههنا من مشيخة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف عليه منهم رجلان ، فقالوا : ترجع بالناس لا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر فى الناس إنى مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة . وكان عمر يكره خلافه . نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل فهبطت بها وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى مجدبة : أليس إن رعت الخصبة رعتها بقدر الله، وإن رعت الجدبة رعتها بقدر الله . قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، وكان متغيباً فى بعض حاجته ، فقال : إن عندى من هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) . فحمد الله تعالى ، وانصرف . متفق عليه .

القاعدة الثامنة :

بحث بعضهم هل الشورى أملزمة أو معلمة . ونقل بعضهم الإجماع على أنها معلمة إعلاماً وليست ملزمة إلزاماً ، ولنتصور ما يترتب على هذا الرأى من نتائج :

١ - أن تكون الشورى معلمة وليست ملزمة وخاصة فى مرحلة ما قبل الحكم ، سيترتب على ذلك أن يدير كل إنسان للآخر ظهره كلما طرأ خلاف فى الرأى . فإذا صحت مفارقة الإمام فى الصلاة على رأى بعض المذاهب . أفلا تصح مفارقة الأمير إذا رأى إنسان خطأ ، أما إذا كان للشورى دورها الملزم للجميع فالخلاف لا يكون بين الأمير وواحد ، إنما الخلاف بين الصف كله وواحد .

٢ - إن ترك إلزامية الشورى تعنى إعطاء الأمراء على كل مستوى ، سواء كانوا مزكين أو لا فرصة الاستبداد المطلق ، وفى ذلك من الفساد ما فيه :

٣ ـ إن سيراً بلا شورى ملزمة يستشعر كل فرد فى النهاية أنها لا تعنيه ، فهو إذ يرى أن الأمور تسير على رغبة الأمير دائماً . فإن القليل وحدهم هم الذين يستطيعون أن يحملوا أنفسهم على التسليم ولنوع من الناس فقط ، ولكن كم من الناس يستطيعون أن يكسبوا ثقة من حولهم حتى يسلموا لهم .

٤ ـ إنه إذا سارت الأمور بهذا الطريق ولم تعط الشورى مداها بإلزام الأكثرية للأقلية ، فإن نظرية الشورى التطبيقية فى هذا العصر تكون مخدوشة خدشاً لا يمكن رتقه ، وآثار ذلك على مسيرة الأمة الإسلامية خطيرة وذات ضرر كبير ويجعل الحجة لغير المسلمين قائمة فى بعض الشؤون على المسلمين ، ومن ثم فعلى فرض أن هناك خلافاً فى إلزامية الشورى للأمير فإن على المسلمين أن يرجحوا القول الذى يقول بالإلزامية لما يترتب على ذلك من مصالح ويعتمدوه . أما ما ادعاه بعضهم من إجماع فى عدم إلزامية الشورى فذلك منقوص بفعل الأمة الإسلامية ومقالها . ذكر ابن عابدين فى حاشيته فى كتاب الجهاد هذه الصورة : أنه تجب طاعة الأمير إلا إذا رأت الأكثرية أنه ضرر فيتبع رأى الأكثرية .

وجماعة الإخوان المسلمين اعتمدت إلزامية الشورى فى الإرث التنظيمى الذى خلفه لنا الأستاذ البنا ، أو فيما اعتمدته من قواعد فى كل سيرها كانت ترى أن الشورى ملزمة للأمير . عندما أصيب عمر رضى الله عنه ترك الأمر شورى بين ستة ، وأعطى ابنه حق الترجيح ، وجعل للأكثرية حق إلزام للأقلية ، وأمر بقتل الأقلية إن هى خالفت . أليس فى ذلك ما يصلح اعتماده فى إلزام الأكثرية الأقلية ، على أننا نقول إن رأى الأكثرية المرشحة لاتخاذ القرار فى شأن هو الملزم . أما غير ذلك فلا يؤبه له إلا إذا كان منسجماً مع القواعد . وهذا عمر رضى الله عنه قال لأحدهم : (إنما أنت من الأعراب) . وذلك تصريح بأنه ليس لكل واحد حق الشورى فى كل قضية . وفى دعوة الإخوان المسلمين يلاحظ أن الأخ المجاهد يجب فى حقه كمال الطاعة ، وقد يكون فى ذلك إشارة إلى أن حق الشورى معطى للنقباء فما فوق ، فهم الذين لهم حق الشورى فى اختيار القيادات ، وفى كون رأى أكثريتهم ملزماً إذا

استشيروا ، ورأى أكثريتهم ملزم حيث اتفق على أن يكون لهم رأى ما فى شأن ما .

إنه لا بد أن توجد القواعد التى توضح نظرية الشورى فى السير الإسلامى المعاصر ، فالقيادات تنبثق عن أكثرية الصف الذى من حقه أن يختار هذه القيادات . وهذه القيادات تتخذ قراراتها بالأكثرية التى لها حق اتخاذ القرار . على أنه ينبغى أن يعطى الأمير حق طرح بعض الأمور المختلف فيها على جهة عليا أو دنيا ، والطبقة التى تطرح عليها والقضية يكون رأى أكثريتها ملزماً . إنه يمكن أن تطرح الشورى على الصف كله قيادات ونقباء ومجاهدين وعاملين ، ورأى الأكثرية فى هذه الحالة ملزم ، كما يمكن أن ينص فى القواعد على أن القيادة العليا تستطيع بأكثريتها أن تتخذ بعض القرارات دون العودة إلى مجلس شورى ، وأن تتخذ بعض القرارات بالرجوع إليه ثم إلى غيره وهكذا . وبالإمكان أن يفوض المجلس القيادة أو يفوض الصف القيادة فى بعض الأمور ، أو فى كلها كما أنه بالإمكان أن يفوض أى نوع من الأمراء بمعالجة بعض الأمور دون الرجوع إلى إخوانه ، وكل ذلك ينبغى أن يضبط بقواعد منصوص عليها بالأنظمة المنبثقة عن شورى معترف عليها عند الصف ؛ ونركز على قضية جواز التفويض وأن ذلك لايتنافى مع الشورى ، بل هو المكمل لها . وإذا كان القرار ينبغى أن تضبطه قواعد الشورى فإن التنفيذ يخضع لقواعد الضبط ووجوب الطاعة وأجهزة التنفيذ عليها أن تنفذ إذا رأت أكثرية ما مكلفة بمهمة ما . إن أمراً ما فيه حذر فإنها تستطيع أن تراجع القيادة ذاكرة ملاحظاتها ، وعلى القيادة أن تنظر فى الأمر على ضوء الملاحظات وتطبق فى ذلك كله القواعد المتفق عليها فى النظام .

ونلاحظ أن سياسة عمر كانت تلاحظ حتى رأى الأقلية ، فى قضية أراضى السواد مع أن الأكثرية كانت بجانب رأيه ، فإنه أخر البت فى هذا الموضوع حتى مات كل المعارضين . فإذا كان الأمر كذلك وهو عمر

وكان بجانبه كبار الصحابه فما بال غيره ؟ إنه لو سارت الحركة الإسلامية بدون نظرية واضحة المعالم فى موضوع الشورى وإذا لم تعتمد هذه الحركة مبدأ إلزامية الشورى فسيرى العاملون أنفسهم فيها دائماً فى الفراغ . إنه قد يحتمل الصف استبداد الأمير مرة ومرة ومرة ثم بعد ذلك لا يبقى أمام الناس إلا المفارقة . ثم فلنرجع إلى ما نقلناه فى ابتداء هذه الفقرة من قوله عليه السلام لأبى بكر وعمر : (لو اتفقتما فى مشورة ما خالفتكما) . ومن قوله عليه السلام فى تفسير العزم فى قوله تعالى : « فإذا عزمت فتوكل على الله » . قال : (مشاورة أهل الرأى واتباعهم) . إن من تأمل هذين النصين وجد أن ما اعتمدناه صحيح ، بل هو الذى لا ينبغى اعتماد غيره . قال الماوردى فى وصف القائد : وأن يستشير ذوى الرأى ولا يستبد دونهم بالرأى .

القاعدة التاسعة :

فى الحديث الشريف : (إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا أحدكم) . وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام كما قصها علينا القرآن نجد مشارطة الخضر لموسى فى ابتداء الأمر والتزام كل من موسى والخضر بما اشترطاه . من هذين المثالين ندرك التركيز الشديد فى الإسـلام على قضية الإمرة والجندية كما ندرك مبدأ اعتماد الشروط فى السير المشترك . ومن مثل هذا ندرك أن مبدأ اعتماد القواعد فى السير المشترك مبدأ مقرر . فمن خلال القاعدة المتفق عليها ، ومن خلال الشورى يكون السير ، والقاعدة نفسها تنبثق عن الشورى فى السير الجماعى . وإذا اتفقت مجموعة مع قاعدة فقد وجب على كل فرد منها الالتزام بها ، لأن المسلمين عند شروطهم ، ولأنهم لما التزموا بالقاعدة ، وأعطى كل منهم وعداً بذلك ، والوعد فى هذا المقام كالعهد واجب الوفاء ، بل هو كالنذر إذا التزم به الإنسان فقد أضحى واجب الوفاء ، فلكوننا فى جماعة قد التزمت بمبادىء ، واتفقت على قواعد ، وأعطى كل منا وعده أو عهده بالالتزام بذلك ، فإنه لم يعد أمامه خيار إلا إذا فارق الجماعة لأمر شرعى معلماً قيادتها ، فالأمر وقتذاك له وجهه إن كانت مفارقته لعذر شرعى صحيح .

القاعدة العاشرة :

على أنه فيما تعتمده من قواعد وفيما نتخذه من قرارات بالشورى لابد أن نراعى طاقة الإنسان ، فالله عز وجل يقول : « لايكلف الله نفساً إلا وسعها » . ومن ثم كانت مراعاة الطبيعة البشرية ومعرفة حدود الطاقة شيئاً لا بد منه فى السير ، ولذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطانا الدروس الكثيرة فى هذا الموضوع :

(إذا أم أحدكم فى الناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة) (سيروا على سير أضعفكم). إنه لابد من مراعاة النفس البشرية فى كل قاعدة وفى كل قرار ومن يهمل جانب التعامل مع النفس البشرية ، فإنه لا يستطيع أن يسير لابنفسه ولا بغيره . إن سياسة النفس البشرية قضية من أعقد قضايا هذا العالم، وكل من لا يتقن هذه السياسة بمراعاتها فى شأنه كله يفرط تفريطاً خطيراً ، فكيف إذا كان الأمر مرتبطاً بسير له صلة بأمة عريضة الامتداد الزمانى والمكانى . ومن ثم فعلى القيادات وعلى الصف أن يلاحظوا فى كل ما يعتمده من قاعدة أو قرار طبيعة النفس البشرية . فمثلا إن النفس البشرية يسعها التعامل العادل وتتطلع إلى الإحسان ، ولذلك فإذا صلحت أعطت العدل ، وإذا ميجت على الإحسان فعندها قابلية لأن تعطيه ، والذلك فلا بد من البحث دائماً عن قواعد التعامل العادل ، ولا بد من التذكير دائماً للارتقاء بالنفس إلى أجواء الإحسان، ولكن النفس العادية لا تستطيع دائماً أن تبقى فى أفق الإحسان والفضل . لقد قال تعالى : « ولا يسألكم أموالكم . إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم » . إنك إن طالبت إنساناً بالمال الكثير فلن يعطيك شيئاً ؛ وتستخرج فى هذه الحالة خبيئة نفسه ، فيغضب ويسأل أين يذهب المال . وقد يعترض ، وقد ينتقد ؛ ولكنك إن طالبته بالقليل أعطاه دون اعتراض أو انتقاد ، أن نطالب بالقليل ونذكر الناس بالعطاء الكثير . هذا وحده السبيل فى هذا الشأن للتعامل مع النفس . من هذين

المثالين تدرك المراد بقولنا : إن علينا فى كل ما نعتمده من قواعد أو نتخذه من قرارات أن نلاحظ طبيعة النفس البشرية وحدود طاقة الإنسان .

القاعدة الحادية عشرة :

إذا كان ركنا التنظيم الأول هو الشورى والالتزام بالقواعد المتفق عليها، فإنه من البديهى أن يكون التقديم والتأخير فى الجماعة مبنيين على الخصائص والعلم . فالخصائص والعلم هى الركنان الآخران فى التنظيم . فدرجات العضوية مبنية على الخصائص والعلم ، والصف يقدم أو يؤخر بحسب الخصائص والعلم ؛ إن فقدان خصيصة من الخصائص يجعل الأخ غير مرشح للانتقال من عضوية إلى عضوية أعلى ، فإذا توافرت مجموعة خصائص عضوية ما بإنسان أعطيها. وبعد الخصائص يكون حق التقديم؛ إما للصف وإما للقيادات الأعلى ؛ على أن يكون ذلك كله ضمن القواعد المتفق عليها . فمن المعلوم أن الصف هو الذى قدم خالداً يوم مؤتة بعد قتل الأمراء الثلاثة . والخلفاء هم الذين كانوا يعينون الأمراء أحياناً عن مشورة وأحياناً عن غير مشورة ، وبهذا كله ندرك أن الخصائص هى التى تقدم أو تؤخر ، والخصائص نفسها تحددها الشورى بقواعد ، ثم إن الصف أو القيادات يقدمان أو يؤخران حيث تساوت الخصائص أو تفاوتت . وإذا احتاجت قضية ما إلى خصيصة ما فإن القيادة أو الصف هما اللذان يقدمان أو يؤخران وكل ذلك حسب القواعد المتفق عليها .

القاعدة الثانية عشرة :

إن قيام التنظيم الإسلامى على الخصائص والشورى يجعل من مهماتنا أن نضبط ذلك كله بقواعد حتى تصبح نظرياتنا التنظيمية والتزام الصف فى حكم البديهيات فى الأذهان. فنظريتنا فى الشورى واضحة، ونظريتنا فى الخصائص واضحة وقواعدنا المحكمة فى هذا وهذا واضحة . ولا شك أن هناك ارتباطاً بين الخصائص والشورى ، فالشورى تعطى لأهلها ممن توافرت فيهم خصائص

معينة . وكل نوع من الشورى له أهله وله صفه وكل ذلك له قواعده . هاتان القضيتان : قضية الخصائص والشورى وإلزامية الشورى على ضوء القواعد المتفق عليها يجب أن تأخذ طابع البديهية مع إعطاء نظرية الشورى أبعادها بحيث توجد دائماً المنافذ الصحيحة للوصول إلى القرار الحكيم السليم من خلال طرح الشورى على أكثر من دائرة إذا اقتضى أمر من الأمور ذلك . وكل ذلك ينبغي أن يكون محكوماً بقواعد متفق عليها . هذه الأمور المماراة فيها تكاد تكون نوعاً من الجهل إما بالنصوص ، وإما بالمسيرة الفقهية للأمة الإسلامية ، وإما بالطبيعة البشرية أصلا . إن الطبيعة البشرية لا تحتمل الاستبداد بالرأى ولا تتحمل الانفراد بالرأى ، وإن النصوص لا تشهد إلا للنزول على رأى الأكثرية كما رأينا . وعلى كل فالنصوص تبيح لنا أن نتعامل على ضوء تعاقداتنا مع بعضنا ، وهذا الفقه الإسلامى مليء بذكر الإجماع وذكر رأى الجمهور ، وذكر رأى الأكثرية فى قضايا الاجتهاد على ضوء النصوص ، فكيف فيما لا نص فيه ، والعجيب أن بعض الكتاب لا يرون للأكثرية العليمة أى وزن ، ويرون ذلك هو الفهم الفقهى للأمور ، مع أنهم لو فتحوا أقرب كتب الفقه إليهم فإنهم واجدون عبارات تشير إلى رأى الأكثرية . فمثلا لاحظ هذه العبارات فى متن من متون فقه الحنفية المطبوعة كثيراً وهو وهو (متن نور الإيضاح) : (الأحق بالإمامة .... فالأعلم ثم الأقرأ ثم الأورع ثم الأسن ثم . . . فإن استووا يقرع بينهم أو الخيار إلى القوم ، فإن اختلفوا فالعبرة بما اختاره الأكثر ؛ وإن قدموا غير الأولى فقد أساؤوا) . لاحظ فى هذا النقل موضوع الخصائص ، ولاحظ كذلك عبارته (فالعبرة بما اختاره الأكثر) . إن المسيرة نحو دولة إسلامية عالمية تحتاج إلى فقه واسع وقواعد محكمة تبعدنا عن المزاجية والعاطفية والاستبداد والإعجاب بالرأى إن الأمير الذى يعطى حرية طرح رأى من الأمور على الطبقة العليا فى الصف ثم على طبقة أعلى وأدنى ، ثم لا يجد بعد ذلك أكثرية توافق رأيه أولى له أن يعتزل الصف أو يشتغل بتربيته من أن يلزم الصف بما هو خلاف رأيه . إن الصف الذى اتخذ قرار معركة بدر بالشورى قادر على أن يتخذ كل قرار

حكيم بالأكثرية المؤهلة لاتخاذ القرار . ترى عندما قال عمر رضى الله عنه كما ورد فى صحيح البخارى : (فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو والذى بايعه تغرة أن يقتلا) . ترى عندما قال عمر هذا هل كان يرى أن للأكثرية المؤهلة حق اتخاذ قرار فى أهم أمر للمسلمين أم لا ؟

القاعدة الثالثة عشرة :

إذا اتضحت القواعد السابقة فلا بد أن يلحظ فى التنظيم ناحيتان : المكافأة والمناسبة – المكافأة للأهداف التى نسعى لها ، والمناسبة للوضع الذى نحن فيه فى كل قطر من أقطارنا ، فإذا لم يكن التنظيم مناسباً للوضع الذى نحن فيه فإن ذلك قصور ، وإذا لم يكن التنظيم مكافئاً لتحقيق الأهداف ولطبيعة الأوضاع التى نحن فيها فإن التنظيم لايساوى شيئاً . ومن ثم فالتنظيم لابد أن يكون أثراً عن دراسة شاملة لوضع كل قطر على حده ، ثم هو أثر عن استراتيجية معينة وخطة معينة داخل هذا القطر . وكذلك يقال عن التنظيم الإقليمى أو العالمى . ولذلك فلا بد من التفريق بين القاعدة الكلية الشاملة فى التنظيم وبين القاعدة التى لا تصلح للتعميم ، كما أنه لا بد أن يعطى كل قطر نوعاً من الحرية فى ما لا يؤثر على وحدة الحركة الإسلامية، وبما لاينتقض استراتيجيتها العالمية فى أن يعتمد قواعده الخاصة به مما يتناسب مع استراتيجيته الخاصة به وخطته المحلية ، ولذلك فإن مجموع القواعد التى ينبغى أن تعتمد فى الأنظمة العامة ينبغى أن تكون من النوع الذى يصلح للاعتماد فى كل قطر مع إبقاء فراغات تملؤها الأقطار المحلية حسب اجتهاداتها .

القاعدة الرابعة عشرة :

يمكن أن يعتمد فى الانتخابات القطرية داخل الجماعة فى الأحوال العادية أن تنبثق القيادات عن صفى الإخوة النقباء والنواب ، فهاتان الطبقتان تنتخبان قيادات الشعب أو المراكز أو قيادات القطر من الإخوة النواب . وأما فى الأحوال الاستثنائية فقد يحسن أن تنفرد طبقة النواب بانتخاب القيادات على كل مستوى .

القاعدة الخامسة عشرة :

ينبثق مجلس شورى القطر عن المراكز أو الشعب ، ويحسن أن يضم هذا المجلس عدداً يختاره الإخوة المنتخبون من أمار الجماعة وكبارها ورموز سيرها .

القاعدة السادسة عشرة :

مجلس شورى القطر يرشح ثلاثة لمنصب أمير القطر ، وطبقتا النقباء والنواب فى الأحوال العادية هى التى تنتخب بأكثريتها المطلقة واحداً من هؤلاء ، فإذا لم يحصل أحد على الأكثرية بعاد الانتخاب بين اللذين حصلا أكثر الأصوات .

القاعدة السابعة عشرة :

ينبثق عن الأقطار مجلس شورى التنظيم العالمى ، وهو الذى يضع القواعد التى تنبثق عنها القيادات العالمية للجماعة .

منطلق التنظيم الحى او المهنة أو كلاهما

إن التنظيم الإسلامى ينبغى أن يستوعب طاقات أعضائه ، وأن يستفيد من اختصاصاتهم ، وأن يربطهم بعدة أنواع من الربط ، كل نوع منه يخدم العمل الإسلامى بوجه خاص من الوجوه ، وهذا مظهر من مظاهر : أن يربط الأخ ذاته ربطاً كاملا بالدعوة الإسلامية وحركتها ، يجب على الأخ أن يعمل بشكل منتظم فى الحى وفى الوظيفة وفى العمل وفى كل مجال يدعى له ، إذ ليس عند الأخ وقت إلا للدعوة . فالدعوة ليست على هامش حياتنا ، بل حياتنا كلها ملك لله ، وعلينا أن نبذلها من أجل دعوته . ولكن هل القاعدة الأساسية فى التنظيم عندنا هى أن تكون على أساس الحرفة أو على أساس الحى ؟ والذى نراه فى هذا الموضوع أن قاعدة العمل ينبغى أن يكون هو الحى ثم تأتى مكملات ولذلك استثناءات ، والأسباب الداعية لهذا كثيرة :

(أ) إن المسح الاجتماعي الشامل لا يكون إلا على أساس الحي أو القرية .

(ب) إن التنظيم على أساس العمل يجعلنا نهمل طبقات من الناس ويوجد فجوات كبيرة يصعب حلها تنظيمياً .

(ج) إن ربط الأخ بجيرانه وإخوانه في الحي أقوى وأكثر دواماً وواقعية .

(د) إذا وجد عندنا تنظيم قوي على أساس الحي ، عندئذ لا يضيع أخ ، إذ لو أهمل الأخ من جانب أو فتر عن العمل من جانب يبقى الجانب الآخر متحركاً .

(هـ) في اللحظات الصعبة التي تواجه الأمة يساعد التنظيم على أساس الحي على كثير من الأمور ، فالتبليغ يكون أسهل وكذلك الاتصال .

(و) يعرفنا تنظيم الأحياء على ما يجري بشكل أدق ، ويقدم لنا معلومات مفيدة ، إذ تتضافر لذلك عوامل المعرفة وصلة الجوار .

(ز) من الناحية التربوية والتعليمية فإن ترابط الإخوان في الحي يسهل أمر ملاحظة بعضهم في شؤون العبادات ، ويساعد على وجود مناخ تربوي مناسب .

(ح) إخوان الحي أقدر على تذكر الغريب المسافر منهم وأقدر على الصلة به والفطنة له إذا حضر والقيام بالواجبات ذات المناسبات ، وفاة أو زواجاً .

(ط) إن التنظيم على أساس المهنة أو الثقافة فقط يوجد نوعاً من العلاقات الخاصة تضعف بها الإحساسات الأخوية الإسلامية العامة .

(ى) إن تنظيم الأحياء يساعد على احتكاك الأعلى ثقافة بالأدنى ثقافة ، ويكون ذلك رفعاً لمستوى الأدنى وأجود خلقياً للأعلى .

(ك) وكحركة إسلامية منطلقها الأول المسجد ومحور نشاطاتها فيه ومرتكز حياة أفرادها داخله، والمساجد منتشرة فى الأحياء وعلى أساسها تقوم. فلا بد أن تكون القاعدة الأساسية فى تنظيمنا هو الحى. هذه كلها مبررات قوية تجعل القاعدة الرئيسية فى العمل عندنا الحى، ولكن هذا لايعنى أنه لايوجد تنظيم آخر، بل يجب أن يكون عندنا تنظيم على أساس الأحياء وتنظيم على أساس الحرفة والمهنة والعمل.

إنه لابد أن يكون للأخ ارتباطان على الأقل ارتباط بحيه وارتباط بمجاله الذى هو فيه، فإن كان طالباً فى قطاع الطلاب، وإن كان عاملا فبتنظيم نقابته الإسلامى، ويدخل فى ذلك الرجال والنساء.

والصواب: فالبناء يحتاج إلى جانب نظرى وآخر عملى. والحركة الإسلامية تتحرك حركتها العملية نحو البناء. ومستلزمات هذه الحركة كثيرة ومتجددة، وكل يوم فيها جديد يحتاج إلى مذاكرة بين العاملين وتطويره، وهذا لا يتكلم فيه إلا ضمن العاملين وفى الحدود التى تسمح فيها الحركة ثم يصاغ الصياغة الأخيرة للتاريخ والعبرة، ولذلك فإننا نعتبر أننا ذكرنا فى سلسلة (فى البناء) ما يحتاجه الجانب النظرى إلى حد كبير.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الصفحة

الصفحة